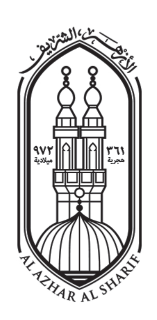


الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية

تيسير
تَفسير النسفي

جزء عمّ

للصف الأول الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٢ هـ
٢٠٢٠ - ٢٠٢١م



مقدمة

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛

فهذا كتاب «تيسير تفسير النسفي لجزء عمَّ» المقرر على الصف الأول الثانوي، توخَّينا فيه تسهيل العبارة، وتوضيحها بما يتناسب وعقول أبنائنا الطلاب، وراعينا فيه الآتي:

١ـ قدَّمنا له بمقدمة موجزة في علوم القرآن.

٢ـ تقسيم السورة إلى موضوعات رئيسة.

٣ـ حذف القراءات غير المتواترة، والتى لا يتعلق بها المعنى.

٤ـ عزو الآيات المستشهد بها أثناء التفسير إلى سورها.

٥ـ تخريج الأحاديث وأسباب النزول والحكم عليها.

٦ـ استخراج الأسرار البلاغية من كل سورة.

٧ـ ذكر الدروس المستفادة من السورة.

٨ـ إضافة أسئلة في نهاية كل سورة.

واللَّهَ نسأل أن ينفع بعملنا هذا الطلاب، وأن يرزقنا عليه جزيل الثواب، وصلى اللَّه على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه وسلم.

لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف



مقدمة في علوم القرآن
مبادئ علوم القرآن الكريم

١ـ تعريف علوم القرآن الكريم:

هي: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، كمعرفة أول وآخر ما نزل، وأسباب النزول، وما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها، ومن ناحية كتابته وجمعه ورسمه، ومن ناحية إعجازه وأسلوبه، وأمثاله، وقصصه، وتفسيره، وتوضيح ألفاظه، ومعانيه.

٢ـ موضوع علوم القرآن:

القرآن ذاته، من هذه النواحي السابقة التي تتعلق بآياته، وسوره، وأسباب نزوله، ومكيِّه، ومدنيِّه.

٣ـ سر التَّسمية:

سُمِّي هذا العلم بعلوم القرآن، ولم يُسَمَّ بعلم القرآن؛ لأنَّ كلَّ مبحث من مباحثه يُعَدُّ علمًا مستقلًا قائمًا بذاته، قد أُلِّفت فيه مؤلفات.

٤ـ فوائد معرفة علوم القرآن:

(أ) زيادة المعرفة بهدايات القرآن، وآدابه، وأحكامه، وتشريعاته.

(ب) الردُّ على شبهات الجاهلين والحاقدين التي أثاروها حول القرآن الكريم.

(ج) معرفة الشروط التي يجب توافرها في مَنْ يريد تفسير القرآن الكريم.

تعريفٌ بالقرآن الكريم وبأسمائه ومقاصده

١ـ **القرآن الكريم لغةً:** مصدر كالقراءة، مشتق من الفعل «قرأ» بمعنى «تلا»، ثم نُقل من المعنى المصدري، وجعل اسمًا لكلام الله تعالى، من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

٢ـ **القرآن الكريم اصطلاحًا:** هو كلامُ الله المُعْجزُ المُنَزَّلُ على رسوله ﷺ، المنقول بالتَّواتر المتعبد بتلاوته.

٣ـ **أسماء القرآن الكريم:**

(أ) القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[١].

(ب) الكتاب، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[٢].

(ج) الفُرقان، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[٣].

(د) الذِّكْر، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾[٤].

(هـ) التَّنزيل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[٥].

هذه أشهر أسماء القرآن الكريم، وما عَدَّه بعض العلماء أسماءً للقرآن، فهي في الحقيقة صفاتٌ له، وليست أسماءً.

(١) سورة الإسراء . الآية: ٩.
(٢) سورة الكهف . الآية: ١.
(٣) سورة الفرقان . الآية: ١.
(٤) سورة الأنبياء . الآية: ٥٠.
(٥) سورة الشعراء . الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٤.

٦ـ مقاصد نزول القرآن:

(أ) هداية النَّاس:

نزل القرآن الكريم لهداية الناس إلى ما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم، وتمتاز هذه الهداية عن غيرها بأنَّها عامَّة، وتامَّة، وواضحة.

أمَّا عمومها: فلأنَّها شملت الثقلين، الإنس والجنَّ في كل زمان ومكان.

قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[١].

والمعنى: أنَّ الله تعالى قد أنزل عليَّ هذا القرآن بواسطة وحيِهِ؛ لِأُنذركم به يا أهل مكة، ولِأُنذر به جميع مَنْ بلغه هذا القرآن.

وأمَّا تمامها: فلأنَّها تضمنت أمورًا يحتاج الناس إليها في عقائدهم، وأخلاقهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، ولأنَّها نظَّمت علاقة الفرد بربه، وبنفسه، وبالكون الذي يعيش فيه، ووفَّقت بين مطالب الروح والجسد.

وأمَّا وضوحها: فلأنَّها عرضت الموضوعات والقضايا عَرْضًا رائعًا مؤثرًا، يجمع بين الإيضاح والإقناع.

(ب) الإعجاز:

القرآن معجزة خالدةٌ تشهد بصدق النبي ﷺ فيما بلَّغه عن ربه.

والدَّليل على إعجازه: أنَّ الله تحدَّى العرب أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة من مثله، فعجزوا.

---

(١) سورة الأنعام . الآية: ١٩ .

وإذا كان العرب ـ وهم أرباب الفصاحة والبلاغة ـ قد عجزوا فغيرهم أشدُّ عجزًا، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١).

(ج) **التَّعبد بتلاوته:**

يجب على المسلم أن يُكثر من تلاوة القرآن؛ لأنَّ هذه التلاوة ترفع درجاته، وتمحو سيئاته، وتُهذِّب أخلاقه، وتشرح صدره.

قال اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾(٢).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(٣).

أوَّل ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم

١ـ طريق معرفته:

يُعرف أوَّلُ ما نزل وآخر ما نزل من القرآن بالنَّقل عن الصَّحابة رضي الله عنهم الذين شاهدوا نزول الوحي، وعرفوا من النبي ﷺ أوّل ما نزل وآخر ما نزل، ثم أخبرونا به.

---

(١) سورة الإسراء . الآية: ٨٨.
(٢) سورة فاطر . الآية: ٢٩.
(٣) صحيح، رواه الترمذي.



٢ـ فوائد معرفته:

(أ) تمييز النَّاسخ من المنسوخ؛ إذا وردت آيتان، أو آياتٌ في موضوع واحد، وكان الحُكْم في إحدى هذه الآيات يُغاير الحكم في الأُخرى ولا سبيل إلى الجمع بينهما بأي وجه، فإنَّنا نعرف أنَّ الآية المتأخرة في النزول قد نسخت المتقدمة.

(ب) الوقوف على تاريخ التَّشريع الإسلامي، وتَدرُّجه في تربية الأمَّة.

(ج) مدى عناية الصَّحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم حتى عرفوا زمان نزوله، ومكانه، وأسبابه.

٣ـ أوَّلُ ما نزل من القرآن:

اتَّفق الجمهور على أن أوَّلَ ما نزل من القرآن الكريم بإطلاقٍ صدر سورة العلق، إلى قوله ـ جل شأنه: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

والدليل على ذلك: ما رُوي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنَّها قالت: «أوَّلُ ما بُدئ به رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث ـ أي: يتعبد ـ فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يَنْزِع ـ أي: يعود ـ إلى أهله، ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه المَلَكُ فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطَّني ـ أي: ضمَّنى ـ حتى بلغ منِّي الجَهْدَ ثمَّ أرسلني، فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغَطَّني الثانية حتى بلغ منِّي الجهد ثمَّ أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني

(١) سورة العلق . الآية: ٥.



فغطَّني الثالثة ثمَّ أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾. الحديث»[1].

٤ـ آخر ما نزل من القرآن:

الصَّحيح أنَّ آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق: هو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[2] فقد نزلت هذه الآية قُبيْل وفاة النبي ﷺ بتسع ليالٍ فقط، أمَّا قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[3] فقد نزلت قبل وفاة النبي ﷺ بأكثر من شهرين، في حَجَّـة الوداع، يومَ عرفة، في السنة العاشرة للهجرة.

المكيّ والمدنيّ

١ـ تعريف المكيّ والمدنيّ:

المكيّ: ما نزل قبل الهجرة، ولو كان نزوله في غير مكة.

والمدنيّ: ما نزل بعد الهجرة، ولو كان نزوله في غير المدينة.

وعلى هذا، فقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[4] من القرآن المدنّي، مع أنَّه نزل بعرفة في حجـة الوداع.

وقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[5] من القرآن المدني، مع أنَّه نزل في جوف الكعبة عام الفتح.

---

(١) متفق عليه.
(٢) سورة البقرة . الآية: ٢٨١ .
(٣) سورة المائدة . الآية: ٣.
(٤) سورة المائدة . الآية: ٣.
(٥) سورة النساء . الآية: ٥٨ .

٢ـ طريق معرفة المكيّ والمدنيّ:

لا سبيل إلى معرفة المكيّ والمدنيّ إلا عن طريق ما نُقِل عن الصَّحابة رضي الله عنهم؛ لأنَّهم شاهدوا نزول الوحي، وعرفوا زمانه ومكانه.

٣ـ ضوابط القرآن المكيّ:

(أ) كُلُّ سورةٍ فيها لفظ «كلّا» فهي مكيَّة، وقد ورد هذا اللفظ ثلاثًا وثلاثين مرَّةً في خمس عشرة سورة، في النِّصف الثاني من القرآن.

(ب) كُلُّ سورة فيها سجدةٌ فهي مكيَّة.

(ج) كُلُّ سورة فيها قصص الأنبياء، والأمم السَّابقة فهي مكيَّة، ما عدا سورتي البقرة، وآل عمران.

(د) كُلُّ سورة افتُتحتْ بحرفٍ من حروف التهجي فهي مكيَّة، ما عدا سورتي البقرة، وآل عمران.

٤ـ ضوابط القرآن المدني:

(أ) كُلُّ سورة تتحدَّث عن التشريعات فهي مَدنيَّة.

(ب) كُلُّ سورة تتحدَّث عن الجـهاد وأحكامه فهي مَدنيَّة.

(ج) كُلُّ سورة تتحدَّث عن المنافقين وصفاتهم فهي مَدنيَّة.

٥ـ عدد السور المكيَّة والمدنيَّة:

السور المكيَّة: ثنتان وثمانون سورة.

السور المدنيَّة: عشرون سورة.

السور المختلف فيها: اثنتا عشرة سورة.

نزول القرآن الكريم مُنجَّمًا[1]

١ـ كيفيته:

نزل القرآن كلُّه بالوحيِّ الجليِّ، بواسطة جبريل عليه السلام على قلب النبي ﷺ.

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾[2].

٢ـ دليله:

من الأدلة على نزول القرآن الكريم مُنجَّمًا:

(أ) قوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾[3].

(ب) قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[4].

٣ـ مدته:

اختُلف في مدة نزول القرآن منجَّمًا على الرسول ﷺ تبعًا للاختلاف في مُدَّة بعثة الرسول ﷺ وهو في مكة، فقيل: عشرين سنة، وقيل: ثلاث وعشرين سنة، وقيل: خمس وعشرين سنة. والأقرب للتحقيق: نزوله منجمًا في ثلاث وعشرين سنة.

---

(١) منجماً يعني: في أوقات متفرقة.
(٢) سورة الشعراء . الآيات: ١٩٣ ـ ١٩٥ .
(٣) سورة الإسراء . الآية: ١٠٦ .
(٤) سورة الفرقان . الآية: ٣٢ .



٤ـ الحكمة في نزول القرآن الكريم منجمًا:

(أ) تثبيت قلب الرسول ﷺ، وتسليته، ورفع الحرج عنه، وإزالة ما يعتري صدره من ضيق وحزن.

قال وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾[(٢)].

(ب) تيسير حفظه وفهمه:

نزل القرآن مفرَّقًا؛ ليَسْهُل على المسلمين حفظه، وفهمُه؛ إذ لو نزل مرَّةً واحدةً لشقَّ عليهم أن يحفظوه، ويفهموه. قال سبحانه: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[(٣)].

أي: نزَّلْنَاه مفرقًا منجَّمًا لتقرأه ـ أيها الرسول ـ على الناس بتُؤَدَةٍ وتَثَبُّتٍ، فإنَّه أيسر للحفظ، وأعون في الفهم.

(ج) مسايرة الحوادث:

الأيام مليئة بالأحداث المتعددة، والقضايا المتنوعة، فكان كلما جَدَّ جديد من الأمور التي تتعلق بمصالح العباد في الدنيا والآخرة، نزل القرآن؛ ليبينَ الحُكمَ الحقَّ فيها، فتتجاوب النفوس معه وترتضيه.

---

(١) سورة الفرقان . الآية: ٣٢.
(٢) سورة هود . الآية: ١٢٠.
(٣) سورة الإسراء . الآية: ١٠٦.



وكم من قضية توقَّفَ النبي ﷺ في البتِّ فيها، حتى نزل في شأنها قرآن يُتْلَى، فكان ما نزل فيها تقريرًا شافيًا، وحكمًا عادلًا، لا يستطيع أحدٌ رده، ولا يسع المسلمين إلّا قبوله والرضى به؛ مثل حادثة الإفك.

(د) التَّدرج في التشريع وتربية الأُمَّة:

من أهم الأهداف التي أُنْزِلَ من أجلها القرآن مفرَّقًا: التدرج بالأمة في تخلِّيهم عن الرذائل، وتحلِّيهم بالفضائل، والتَّرقي بهم في التشريعات، فلو أنَّهم أُمِروا بكل الواجبات، ونُهوا عن جميع المنكرات مرَّةً واحدة لشقَّ عليهم، ولضعفت الهمم الصغيرة عن التجاوب والمسايرة؛ مثل تحريم الخمر.

٥ـ الدلالة على الإعجاز:

على الرغم من نزول القرآن مُفرَّقًا في نحو ثلاث وعشرين سنة، وفي أوقات متباينة، وأحكام مختلفة، وحوادث متعددة، إلا أنَّه قد رُتِّبَ ترتيبًا عجيبًا؛ بحيث لا ترى فيه خللًا بين آياته، ولا تنافرًا بين كلماته، ولا تناقضًا في معانيه، ولا اختلافًا في مقاصده ومراميه.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[١]، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[٢].

* * *

(١) سورة هود . الآية: ١ .
(٢) سورة النساء . الآية: ٨٢.



تفسير القرآن

١- تعريف التفسير:

كلمة التفسير في اللغة معناها: الإيضاح والتبيين، تقول: فسَّرتُ الكلمة إذا وضَّحت معناها وبيَّنته.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1].

أي: توضيحًا وتبيينًا.

والتفسير اصطلاحًا: علمٌ يُبحث فيه عن مراد الله تعالى من كلامه بقدر الطاقة البشرية.

٢- مناهج التفسير:

سلك العلماء منهجين أساسيين لتحصيل معاني القرآن الكريم هما:

(أ) التفسير بالمأثور. (ب) التفسير بالرأي.

التفسير بالمأثور:

تعريفه: هو بيان معنى الآية بما ورد في القرآن، أو السنة، أو أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

مكانته:

هو أفضل أنواع التفسير وأعلاها؛ لأنَّ التفسير بالمأثور إمَّا أن يكون تفسيرًا للقرآن بكلام الله تعالى، فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسيرًا للقرآن بكلام الرسول ﷺ فهو المُبيِّنُ لكلام الله تعالى، وإمَّا أن يكون بأقوال الصحابة، فَهُمْ

(١) سورة الفرقان. الآية: ٣٣.

الذين شاهدوا التنزيل، وهم أهل اللسان، وتميَّزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.

أنواعه: التفسير بالمأثور نوعان:

١ـ ما توافرت الأدلة على صحته. فهذا يجب قبوله، ولا يجوز العدول عنه.

٢ـ ما لم يصح، فيجب ردُّه، ولا يجوز قبوله، ولا الاشتغال به إلا للتحذير منه.

مصادره:

أهم «طرق التفسير بالمأثور» هي:

١ـ القرآن:

تفسير القرآن بالقرآن أفضل طرق التفسير، ومن أمثلته تفسير الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[١]. بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢].

٢ـ السنة:

إذا لم تجد تفسير القرآن في القرآن فعليك بالسنة، فإنَّها شارحةٌ للقرآن ومُبيِّنةٌ له.

قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة: تفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنَّه بياض النهار وسواد الليل.

---

(١) سورة البقرة . الآية: ٣٧.
(٢) سورة الأعراف . الآية: ٢٣.
(٣) سورة النحل . الآية: ٤٤.

٣ـ أقوال الصحابة رضي الله عنهم:

وإذا لم تجد تفسير القرآن في القرآن ولا في السنة، فعليك بتفسير الصحابة رضي الله عنهم فإنهم أعلم بذلك؛ لِمَا اختُصُّوا به من مجالسة الرسول ﷺ ومشاهدة القرائن والأحداث والوقائع. ومن أمثلة تفسير القرآن بأقوال الصحابة: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من تفسير (الأبّ) في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[1] بالكلأ والمرعى، وهو ما تأكله البهائم.

٤ـ **أقوال التابعين:** فقد ورد عنهم قدر غير قليل في التفسير بالمأثور.

أهم المؤلفات في التفسير بالمأثور:

١ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن:

مؤلفه: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، شيخ المفسرين، وُلد في طبرستان[2] ببلاد فارس سنة ٢٢٤هـ وتُوفي في بغداد سنة ٣١٠هـ.

ويتميز تفسيره بمزايا منها:

(أ) اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين.

(ب) التزامه بذكر الإسناد في الرواية.

(ج) عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح.

(د) ذكره لوجوه الإعراب.

(هـ) ذكره للقراءات القرآنية وتوجيهها.

---

(١) سورة عبس . الآية: ٣١.

(٢) الطبر: هو الذي يُشقق به الأحطاب، و(ستان) الناحية والموضع.



(و) دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.

٢ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله:

مؤلفه: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، ولد في بُصْرى في الشام سنة: ٧٠٠هـ، وتُوفِّي سنة: ٧٧٤هـ.

ويُعدُّ تفسيره من أشهر كتب التفسير بالمأثور بعد تفسير ابن جرير الطبري.

ويتميز بما يلي:

(أ) يذكر الآية، ثم يُفسِّرها بعبارة سهلة موجزة.

(ب) يجمع الآيات المناسبة للآية، ويُقارن بينها.

(ج) يذكر الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف رضي الله عنهم.

(د) يُعقِّب على ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات غالبًا مبيِّنًا خطورتها ومحذِّرًا من أثرها السيئ على عقائد المسلمين.

التفسير بالرأي

تعريفه:

هو تفسير القرآن بالاجتهاد المستوفي لشروطه، وهي ـ بعد توفر صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين ـ أن يكون ملمًّا بأصول الدين واللغة والاشتقاق وعلوم البلاغة والفقه وأصوله وأسباب النزول ... إلخ.



أقسامه:

ينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين:

١ـ التفسير بالرأي المحمود:

وهو التفسير المُستَمد من القرآن ومن سنة الرسول ﷺ، وكان صاحبه عالمًا باللغة العربية وأساليبها، وبقواعد الشريعة وأصولها.

حكمه:

أجازه العلماء، ولهم أدلة كثيرة على ذلك منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[١].

وغيرها من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن الكريم.

(ب) دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، ولو كان التفسير مقصورًا على النقل، ولا يجوز الاجتهاد فيه لَمَا كان لابن عباس مَيْزةٌ على غيره.

(ج) أنَّ الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في التفسير على وجوه، فدل على أنَّه من اجتهادهم.

وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي المحمود جائز. والله أعلم.

أهم المؤلفات فيه:

مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير.

مؤلفه: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين، وُلد في الرَّي ـ ببلاد فارس ـ سنة: ٥٤٤هـ، وتُوفِّي سنة: ٦٠٦هـ.

(١) سورة محمد. الآية: ٢٤.



ويُعدُّ تفسيره من أوسع التفاسير، فقد تأثر كثيرًا بالعلوم العقلية، فتوسع فيها، وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام، واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والمسائل الطبية.

٢ـ التفسير بالرأي المذموم:

التفسير بمجرد الرأي والهوى.

وأكثر الذين فسَّروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل الأهواء والبدع، الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل، ففسَّروا آيات القرآن بما يُوافق آراءهم ومعتقداتهم الزائفة، وحملوها على ذلك بمجرد الرأي والهوى.

حكمه:

حرام، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

٢ـ وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾[2].

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأعراف . الآية: ٣٣.
(٢) سورة الإسراء . الآية: ٣٦.

أهم المؤلفات فيه:

مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار.

مؤلفه: هو المولى عبد اللطيف الكازرانى.

ويُعَدُّ هذا التفسير مرجعًا مهمًا من مراجع التفسير عند الإمامية الاثنا عشرية ـ فرقة من فرق الشيعة، وأصلًا لِمَنْ يريد أن يقف على مدى تأثير عقيدة صاحبه فى فهمه لكتاب الله، وتنزيله لنصوصه على وَفْق ميوله المذهبية، وهواه الشيعي.

***



أهداف الدراسة

بنهاية دراسة مادة التفسير يُتوقع من الطالب أن:

١ـ يعرف مقاصد سور جزء عمَّ، وما اشتملت عليه من موضوعات.

٢ـ يعرف معاني المفردات الغامضة.

٣ـ يقف على التفسير التحليلي للآيات.

٤ـ يقف على أوجه الإعراب المعينة على استيعاب المعاني.

٥ـ يتذوق الأسرار البلاغية للقرآن الكريم من خلال سور جزء عمَّ.

٦ـ يستنبط الدروس المستفادة من السور.

❊ ❊ ❊



سورة النبأ

(مكية وهي: أربعون آية)

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

النبأ العظيم

﴿عَمَّ﴾ أصله «عن ما»، ثم أُدغمت النون في الميم، فصار ﴿عَمَّ﴾، ثم حذفت الألف تخفيفًا؛ لكثرة الاستعمال في الاستفهام، وهذا استفهام ليس على حقيقته؛ إذ المراد به تفخيم المُستفهَم عنه؛ لأنَّه تعالى لا تخفى عليه خافية ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا؛ أو يسألون غيرهم من المؤمنين، والضمير لأهل مكة حيث كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: البعث، وهو بيان للشأن المفخَّم؛ وتقديره: عمَّ يتساءلون؟ يتساءلون عن النبإ العظيم ﴿ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ فمنهم من يقطع بإنكاره ومنهم من يشكُّ، وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين، وكانوا جميعًا يتساءلون عنه، فالمسلم يسأل ليزداد خشية، والكافر يسأل استهزاء. ﴿كَلَّا﴾ حرف ردع وزجر عن الاختلاف، والمراد: الردع عن الاختلاف أو التساؤل هزؤًا. ﴿سَيَعۡلَمُونَ﴾ هذا وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانًا أن ما يتساءلون عنه حق، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ كرَّر حرف الردع للتشديد، و «ثم» هنا للترتيب الزمني والمعنوي، مما يُشعر بأنَّ الثاني أبلغ من الأول وأشدّ.



﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾

من أدلة القدرة الإلهية في السورة

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ لَمَّا أنكروا البعث، قيل لهم: ألم يَخْلُق مَنْ أُضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة؛ فَلِمَ تنكرون قدرته على البعث، وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات؟ أو قيل لهم: لِمَ فعل هذه الأشياء؟! والحكيم جل شأنه لا يفعل عبثًا، وإنكار البعث يؤدي إلى أنه عابث في كل ما فعل؟. ﴿ مِهَٰدًا ﴾ فراشًا فرشناها لكم حتى سكنتموها ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ للأرض لئلا تميد ـ أي تضطرب وتتحرك ـ بكم ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ ذكرًا و أنثى. ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ قطعًا لأعمالكم وراحة لأبدانكم، والسَّبْتُ: القطع، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ سترًا يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه. ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ وقت معاش تتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم.

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا ﴾ سبع سموات ﴿ شِدَادًا ﴾ جمع شديدة أي: مُحْكمة قوية لا يؤثّر فيها مرور الزمان، أو غلاظًا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام. ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ مضيئًا وقّادًا أي: جامعًا للنور والحرارة؛ والمراد الشمس. ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾ أي: السحائب إذا أَعْصَرَتْ أي شارفت أن تعصرها الرياح فتُمطر، أو الرياح لأنَّها تنشئ السحاب وتدرّ الأَخْلاف: جمع خِلْف وهو الضرع (أي تنزل ماءً دافقًا منهمرًا بشدة وقوة) (تشبيه بالضرع الحافل باللبن)



﴿ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ ﴾

فيصحُّ أن تجعل مبدأ للإنزال. ﴿ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴾ مُنْصَبًّا بكثرة ﴿ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ ﴾ بالماء ﴿ حَبّٗا ﴾ كالبُر والشعير ﴿ وَنَبَاتٗا ﴾ وكلأ ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ أَلۡفَافًا ﴾ ملتفة الأشجار واحدها لِفٌّ كجذع وأجذاع، أو لفيف كشريف وأشراف، أو لا واحد له كأوزاع، أو هي جمع الجمع؛ فهي جمع لُف واللفُّ جمع لفّاء وهي شجرة مجتمعة.

مشاهد من يوم القيامة

﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ بين المحسن والمسيء والمحقِّ والمبطل ﴿ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴾ وقتًا محدَّدًا ومنتهى معلومًا لوقوع الجزاء، أو ميعادًا للثواب والعقاب. ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ ﴾ بدل من ﴿ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ أو عطف بيان ﴿ فِي ٱلصُّورِ ﴾ في القَرْن (هو البوق المُعدُّ للنفختين). ﴿ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴾ حال؛ أي جماعات مختلفة أو أممًا كل أمّة مع رسولها ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ قرأ بالتخفيف: عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ، أي: شُقَّت لنزول الملائكة ﴿ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ ﴾ عن وجه الأرض ﴿ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴾ أي هباء تُخَيِّل الشمسُ أنه ماء.

عقاب الطاغين

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴾ طريقًا عليه ممرُّ الخلق، فالمؤمن يمرُّ عليها والكافر يدخلها. وقيل: المرصاد: الحدُّ الذي يكون فيه الرصد، أي: هي حَدُّ الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم، أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم

﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾

الملائكة الذين يستقبلونهم عندها؛ لأنَّ مرورهم عليها ﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾ للكافرين مرجعًا ﴿ لَّٰبِثِينَ ﴾: ماكثين، حال من الضمير المقدر العائد في ﴿ لِّلطَّٰغِينَ ﴾ ... ﴿ فِيهَآ ﴾ في جهنم ﴿ أَحْقَابًا ﴾ ظرف، جمع حُقُب وهو الدهر، ولم يرد به عدد محصور بل الأبد، كلما مضى حُقُب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يستعمل الحُقُب والحُقْبة إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها، وقيل: الحِقْب ثمانون سنة. وسُئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ أي: غير ذائقين حال من ضمير ﴿ لَّٰبِثِينَ ﴾، فإذا انقضت هذه الأحقاب التي عُذِّبوا فيها بمنع البرد والشراب بُدِّلوا بأحقاب أُخَر فيها عذاب آخر، وهي أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها، وقيل: هو من حَقِب عامنا، إذا قلّ مطره وخيره، وحَقِب فلان: إذا أخطأه الرزق فهو حُقُبٌ وجمعه حِقَاب، فينتصب حالًا عنهم أي لابثين فيها حقبين جهدين و ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ تفسير له.

وقوله: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ ﴾ في جهنم أو في الأحقاب ﴿ بَرْدًا ﴾ رَوْحًا ينفس عنهم حرَّ النار، أو نومًا، ومنه: منع البردُ البردَ، أي: منع بردُ الشتاء النومَ، ﴿ وَلَا شَرَابًا ﴾ يُسكِّن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميمًا وماء حارًا يحرق ما يأتي عليه ﴿ وَغَسَّاقًا ﴾ ماء يسيل من صديدهم، قرأ بالتشديد: عاصم وحمزة والكسائي. وبالتخفيف شعبة والباقون، ﴿ جَزَآءً ﴾ جُوزوا جزاء ﴿ وِفَاقًا ﴾ موافقًا لأعمالهم، مصدر بمعنى الصفة، أو ذا وفاق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾

ثمَّ استأنف معللًا ومبينًا سبب دخولهم جهنم فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ لا يخافون محاسبة اللَّه إياهم، أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجون حسابًا ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ تكذيبًا، (وفِعّال) في باب (فعّل) كله كثير مستفيض. ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ نُصِبَ بمضمر يفسره ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾ (والتقدير: أحصينا كل شيء أحصيناه) ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾ مكتوبًا في اللوح، حال، أو مصدر في موضع إحصاء، أو (أحصينا) في معنى كتبنا؛ لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالبًا. وهذه الآية ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾ اعتراض؛ لأن قوله: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ مُسَبَّبٌ عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات؛ أي: فذوقوا جزاءكم، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب[1] شاهد على شدة الغضب ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

مظاهر ثواب المتقين:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مَفْعل من الفوز، يصلح مصدرًا أي: نجاة من كل مكروه، وظَفْرًا بكل محبوب، ويصلح للمكان وهو الجنة، ثم أبدل منه بدل البعض من الكل فقال ﴿حَدَآئِقَ﴾: بساتين فيها أنواع الشجر المثمر، جَمْعُ حديقة ﴿وَأَعْنَـٰبًا﴾ كُرُومًا؛ عُطف على ﴿حَدَآئِقَ﴾، ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نواهد ﴿أَتْرَابًا﴾ لِدَّات، أي: مستويات في السن، ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ مملوءة.

---

(١) والالتفات هو الانتقال بالأسلوب من الغيبة إلى الخطاب أو العكس وهو نوع من أنواع المحسنات البلاغية.



﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨ ﴾

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ في الجنة، حال من ضمير خبر ﴿ إِنَّ ﴾ في قوله: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، ﴿ لَغْوًا ﴾ كلامًا باطلًا لا فائدة فيه ﴿ وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ أي ولا كذبًا من القول، وقرأ الكسائي من غير تشديد: بمعنى مكاذبة أي لا يكذب بعضهم بعضًا ولا يكاذبه ﴿ جَزَآءً ﴾ مصدر أي جزاهم جزاء، ﴿ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً ﴾ مصدر أو بدل من ﴿ جَزَآءً ﴾، ﴿ حِسَابًا ﴾ صفة، يعني كافيًا.

اليوم الحق:

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ قرأ بجر (ربِّ، والرحمن): ابنُ عامر وعاصم بدلًا من ﴿ رَّبِّكَ ﴾، ومَنْ رفعهما فـ ﴿ رَبُّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره (الرحمن)، أو (الرحمن) صفته، و﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ خبر، أو هما خبران، والضمير في ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ لأهل السماوات والأرض، والضمير في ﴿ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ للَّه تعالى، أي: لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه، أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفًا (هيبة وإجلالًا) ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ﴾ إن جعلته ظرفًا لـ ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ لا تقف على ﴿ خِطَابًا ﴾، وإن جعلته ظرفا لـ ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ تقف. ﴿ ٱلرُّوحُ ﴾ جبريل عند الجمهور، وقيل: هو ملك عظيم ما خلق اللَّه تعالى بعد العرش خلقًا أعظم منه ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ حال أي: مُصْطَفِّين ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ أي الخلائق ثَمَّ؛ خوفًا منه ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ في الكلام أو الشفاعة ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾

حقًا بأن قال المشفوع له «لا إله إلا اللَّه» في الدنيا، أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم بالصواب في أمر الشفاعة. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت وقوعه ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ مرجعًا بالعمل الصالح ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ﴾ أيها الكفار ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ في الآخرة؛ لأن ما هو آتٍ قريب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ أي: الكافر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الشرِّ، لقوله: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[1]. وتخصيص الأيدي؛ لأنَّ أكثر الأعمال تقع بها، وإن احتمل أن لا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم، أو المرء عام وخص منه الكافر، و﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: ما عمل من خير وشر، أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده، وما قدم: من خير.

و«ما» استفهامية منصوبة بـ ﴿قَدَّمَتْ﴾ أي: ينظر أي شيء قدمت يداه، أو موصولة منصوبة بـ ﴿يَنظُرُ﴾ يقال: نظرته يعني نظرت إليه، والراجع من الصلة محذوف أي: ما قدمته ﴿يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ في الدنيا فلم أُخلق ولم أُكلَّف، أو ليتني كنت ترابًا في هذا اليوم فلم أبعث، وقيل: يحشر اللَّه الحيوان غير المكلَّف حتى يقتصَّ للجمَّاء (التي لا قرون لها) من القرناء، ثمَّ يردُّه ترابًا، فيودُّ الكافر حاله، وقيل: الكافر إبليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقًا من التراب؛ ليثاب ثواب أولاده المؤمنين.

---

(١) سورة الأنفال. الآيتان: ٥٠، ٥١.

من الأسرار البلاغية

ـ في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ إيجاز بحذف الفعل، لدلالة المتقدم عليه، أي: يتساءلون عن النبأ العظيم.

ـ في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾ تشبيه بليغ، أي: جعلنا الأرض كالمهاد الذي يفترشه النائم، والجبال كالأوتاد التي تثبت غيرها. ومثله ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ أي: كاللباس في الستر.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾ مقابلة.

ـ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ تشبيه بليغ، أي كالأبواب في التشقُّقِ والتصدُّع، فحُذفت الأداة ووجه الشبه.

ـ في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ أمر يراد به الإهانة والتحقير.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ بث دلائل القدرة في الكون لتكون؛ سبيلًا للإيمان بالآخرة.

٢ـ يوم القيامة هو يوم الفصل بين الخلائق.

٣ـ بيان ما أعده اللَّه تعالى لعباده الطائعين من النعيم، وما أعده للعصاة من العذاب الأليم.

٤ـ المبادرة بالعمل الصالح قبل فوات الأوان.

٥ـ إظهار حسرة الكافر يوم القيامة؛ لعدم اتباعه هدى اللَّه عز وجل.

* * *

الأسئلة

س١ : بيِّن معاني الكلمات الآتية:

(ٱلنَّبَإِ، كلا، مِهَٰدًا ، أَوۡتَادٗا، سُبَاتٗا، ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ ، ثَجَّاجٗا، أَلۡفَافًا ، أَفۡوَاجٗا).

س٢ : بيِّن كيف كان الاختلاف في أمر البعث؟.

س٣: ما الغرض الذي من أجله تحدثت السورة عن مظاهر القدرة؟.

س٤ : وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾.

س٥ : اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

***



سورة النازعات

(مكية وهي: ست وأربعون آية)

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ ﴾

البعث حق

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ **أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد ﴿ غَرۡقٗا ﴾ أي: مُبَالِغَةً في النزع، تنزعها من أقاصي الأجساد من أناملها ومواضع أظفارها، وبالطوائف من الملائكة التي تَنْشِطُها، أي: تُخرجها، من نَشَطَ الدَّلْوَ مِنْ البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تسبح في مُضِيِّها؛ أي: تُسرِعَ فَتسبق إلى ما أُمروا به، فتُدَبِّر أمرًا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم. أو القسم هنا بِخَيْل الغزاة التي تَنْزِع في أعَنّتها[1] نَزْعًا تَغْرَقُ فيه الأَعِنَّةُ لطول أعناقها لأنها عِرَاب ـ أي: عربية ليس بها عِرْق هَجين ـ والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب، من قولك: ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد، والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فَتُدبِّر أمر الغلبة والظَّفْر، وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه. أو بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب، وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب،**

---

(١) العَنان سَيْر اللجام الذي تمسك به الدابة، والعرب تذم الفرس لقصر عنانه، تاج العروس مادة تمهد ٣٥/ ٤١٤ .
ومعنى: تنزع في أعنتها: أي يُمدُّ في سير لجامها لطول أعناقها.



﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ ﴾

والتي تخرج من برج إلى برج، والتي تسبح في الفُلْك من الكواكب السيارة فتسبق فتدبر أمرًا من علم الحساب، وجواب القسم محذوف وهو (لتبعثنَّ)؛ لدلالة ما بعده عليه مِنْ ذِكْر القيامة. ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ﴾ تتحرك حركة شديدة، والرَّجْفُ شدة الحركة ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى؛ وُصفت بما يَحْدُثُ بحدوثها؛ لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل مَنْ عليها ﴿تَتۡبَعُهَا﴾ حال عن الراجفة ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية؛ لأنها تَرْدف الأولى، وبينهما أربعون سنة، والأولى تميت الخلق والثانية تحييهم ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ﴾ قلوب منكري البعث ﴿وَاجِفَةٌ﴾ مضطربة من الْوَجِيف، وهو الْوَجِيب، أي: شدة الاضطراب. وانتصاب ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ﴾ بما دل عليه ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾ أي يوم ترجف وجفت القلوب، وارتفاع ﴿قُلُوبٞ﴾ بالابتداء، و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفتها ﴿أَبۡصَٰرُهَا﴾ أي: أبصار أصحابها ﴿خَٰشِعَةٞ﴾ ذليلة لهول ما ترى، ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: منكرو البعث في الدنيا استهزاء وإنكارًا ﴿أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾ استفهام بمعنى الإنكار، أي: أنردُّ بعد موتنا إلى أوَّل الأمر فنعود أحياء كما كنَّا؟! والحافرة الحالة الأولى، يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته، أي: إلى حالته الأولى. ومن أقوالهم: كانت الخيل أفضل ما يباع؛ فإذا اشترى الرجل الفرس قال له صاحبه: النقد عند حافر الفرس ـ أي حالة البيع الأولى.

﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

أنكروا البعث، ثم زادوا استبعادًا فقالوا ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ بالية، وقرأ (ناخرة) بالألف: حمزة والكسائي، وفَعِلَ أبلغ من فاعل، يقال: نَخِر العظم فهو نَخِرٌ وناخر. والمعنى أنُردُّ إلى الحياة بعد أن صرنا عظامًا بالية؟

﴿ قَالُواْ ﴾ أي: منكرو البعث ﴿ تِلْكَ ﴾ رجعتنا ﴿ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ رجعة ذات خسران أو خاسرٌ أصحابها، والمعنى أنها إن صحت وبُعثنا فنحن إذًا خاسرون؛ لتكذيبنا بها، وهذا استهزاء منهم. ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ متعلق بمحذوف أي: لا تحسبوا تلك الكرَّة صعبة على اللَّه عز وجل؛ فإنها سهلة هيِّنة في قدرته، فما هي إلا صيحة واحدة - يريد النفخة الثانية - من قولهم: زَجَرَ البعيرَ إذا صاح عليه ﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتًا في جوفها. وقيل: الساهرة أرض بعينها بالشام إلى جنب بيت المقدس، أو أرض مكة، أو جهنم.

قصة موسى وفرعون

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ استفهام يتضمن التنبيه على أنَّ هذا مما يجب أن يَشِيْعَ، والتشريف للمخاطَب به، وهو النبي ﷺ. ﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ حين ناداه ﴿ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾ المبارك المطهر ﴿ طُوًى ﴾ اسمه ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ على إرادة القول ﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ تجاوز الحدَّ في الكفر والفساد. ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ هل لك ميل إلى أن تتطهر



﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾

من الشرك والعصيان بالطاعة والإيمان ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأرشدك إلى معرفة اللَّه بذكر صفاته فتعرفه ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة؛ قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1] أي: العلماء به، وعن بعض الحكماء: اعرف اللَّه، فمَنْ عرف اللَّه لم يقدر أن يعصيه طرفة عين؛ فالخشية ملاك الأمور؛ ومَنْ خشي اللَّه أتى منه كل خير، ومن أَمِنَ اجترأ على كل شر، ومنه الحديث: «مَنْ خاف أَدْلَجَ، ومَنْ أدلج بلغ المنزل»[2] .

بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض؛ كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟ وأردفه الكلام الرقيق، ليستدعيه باللطف في القول، ويستنزله بالمُداراة عن عُتُوِّه، كما أمر بذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[3] . ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي فذهب فأرى موسى فرعونَ العصا، أو العصا واليد البيضاء؛ لأنهما في حكم آية واحدة ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعونُ بموسى، وبالآية الكبرى، وسماهما ساحرًا وسحرًا ﴿وَعَصَىٰ﴾ اللَّه تعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ تولى عن موسى ﴿يَسْعَىٰ﴾ يجتهد في مكايدته، أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوبًا يسرع في مشيته، وكان طيّاشًا خفيفًا. ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع السحرة وجنده ﴿فَنَادَىٰ﴾ في المقام الذي اجتمعوا فيه معه ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لا رَبَّ فوقي، وكانت لهم أصنام يعبدونها. ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ عاقبه اللَّه عقوبة الآخرة، والنَّكال بمعنى التنكيل؛ كالسلام بمعنى

---

(١) سورة فاطر . الآية: ٢٨.

(٢) رواه الترمذي وحسنه، وقوله : أدلج ـ بإسكان الدال ـ ومعناه: سار من أول الليل، والمراد التشمير فى طاعة الله عز وجل.

(٣) سورة طه . الآية: ٤٤.

﴿ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ ﴾

التسليم. ونصبه على المصدر[١]، لأن أخذ بمعنى نكل؛ كأنه قيل: نكل اللَّه به ﴿ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ أي الإحراق ﴿ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾ أي الإغراق، أو نكال كلمتيه الآخرة وهي ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ والأولى وهي ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾[٢]، وبينهما أربعون سنة أو ثلاثون أو عشرون ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾ اللَّه.

قدرة مطلقة ونعم لا تحصى

﴿ ءَأَنتُمۡ ﴾ يا منكري البعث ﴿ أَشَدُّ خَلۡقًا ﴾ أصعب خلقًا وإنشاء ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي: أم السماء أشدُّ خلقًا. ثمَّ بَيَّنَ كيف خلقها فقال: ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ أي اللَّه. ثم بين البناء فقال: ﴿ رَفَعَ سَمۡكَهَا ﴾ أعلى سقفها. وقيل: جعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعًا مسيرة خمسمائة عام ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور.

﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا ﴾ أظلمه ﴿ وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ أبرز ضوء شمسها، وأضيف الليل والشمس إلى السماء؛ لأنَّ الليل ظلمتها والشمس سراجها ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ بسطها[٣]، وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت، ثمَّ فسر البسط فقال

---

(١) المفعول المطلق.
(٢) سورة القصص . الآية: ٣٨.
(٣) والدَّحْو: هو البسط، لسان العرب مادة دحا ١٤٠/ ٢٥١.

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ﴾ بتفجير العيون ﴿ وَمَرْعَاهَا ﴾ كلأها، ولذا لم يدخل العاطف على ﴿ أَخْرَجَ ﴾، أو ﴿ أَخْرَجَ ﴾ حال بإضمار «قد».

﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ أثبتها، وانتصاب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير[1] ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ فعل ذلك تمتيعًا لكم ولأنعامكم، و﴿ مَتَاعًا ﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله.

مصير الخلق

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ الداهية العظمى التي تَطُمُّ على الدواهي ـ أي: تعلو وتغلب ـ وهي النفخة الثانية، أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ ﴾ بدل من ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ﴾ أي: إذا رأى أعماله مُدَوَّنة في كتابه يتذكرها وكان قد نسيها ﴿ مَا سَعَىٰ ﴾ مصدرية أي: سعيه، أو موصولة بمعني الذي ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ ﴾ وأظهرت. ﴿ لِمَن يَرَىٰ ﴾ لكل راءٍ، لظهورها ظهورًا بينًا. ﴿ فَأَمَّا ﴾ جواب ﴿ فَإِذَا ﴾ أي: إذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك ﴿ مَن طَغَىٰ ﴾ جاوز الحدَّ فكفر.

﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ على الآخرة باتباع الشهوات ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ المرجع؛ أي مأواه، والألف واللام بدل من الإضافة، وهذا عند الكوفيين، وعند

---

(١) أي أرسى الجبال ودحا الأرض.



﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾

سيبويه وعند البصريين ﴿هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ له، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: علم أن له مقامًا يوم القيامة لحساب ربه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمارة بالسوء ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ المؤذي، أي: زجرها عن اتباع الشهوات، وقيل: هو الرجل يَهمُّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها، والهوى ميل النفس إلى شهواتها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي: المرجع.

متى الساعة؟

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرساؤها؛ أي: إقامتها، يعني متى يقيمها اللَّه تعالى ويثبتها ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به، أي: ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء، كقولك: ليس فلان من العلم في شيء؛ وكان رسول اللَّه ﷺ لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت، فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها، أي: أنَّهم يسألونك عنها، فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ منتهى علمها، متى تكون، لا يعلمها غيره، أو ﴿فِيمَ﴾ إنكار لسؤالهم عنها، أي: فيم هذا السؤال؟ ثم قال ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها، ولا يبعد أن يوقف على ﴿فِيمَ﴾، وقيل ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ متصل بالسؤال، أي يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكراها، ثم استأنف فقال

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أي: لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة، وإنما بُعثت لتنذر من أهوالها مَنْ يخاف شدائدها. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي الساعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ في الدنيا أي ضحى يوم العشية؛ استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول؛ كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾[1] وقوله: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[2] وإنَّما صحَّت إضافة الضُّحى إلى العشيَّة؛ للملابسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد، والمراد أنَّ مدة لبثهم لم تبلغ يومًا كاملًا ولكن أحد طرفي النهار عشيته أو ضحاه، واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية

ـ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ للتشويق إلى معرفة القصة.

ـ بين قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾، وقوله ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ مقابلة.

ـ السَّماءُ والْأَرْضَ بينهما طباق.

ـ في قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ استعارة تصريحية في كلمة مَرْعاها أي: نباتها، شبه أكل الناس برعي الأنعام، واستعير الرعْيُ للإنسان، بجامع الأكل في كُلٍّ، فإطلاق المرعى على ما يأكله الناس استعارة.

(١) سورة الاحقاف . الآية: ٣٥ .
(٢) سورة المؤمنون . الآية: ١١٣ .



ـ بين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ مقابلة.

ـ في قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾ استعارة تصريحية؛ فقد استعار الإرساء، وهو لا يستعمل إلا فيما له ثقل.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ يقسم اللَّه تعالى ببعض مخلوقاته؛ للفت الأنظار إلى أهميتها وعظيم مكانتها.

٢ـ ليوم القيامة أهوال تزلزل القلوب.

٣ـ في مصير فرعون عبرة للطغاة المتكبرين.

٤ـ التفكُّر في قدرة اللَّه تعالى يُورث الخشية.

٥ـ لا يعلم الساعة إلا اللَّه تعالى.

* * *



الأسئلة

س١ : بين معاني الكلمات الآتية:

(غَرْقًا، نَشْطًا، سَبْحًا، ٱلرَّادِفَةُ، وَاجِفَةٌ ، ٱلْحَافِرَةِ، زَجْرَةٌ ، بِٱلسَّاهِرَةِ، فَحَشَرَ ، نَكَالَ، سَمْكَهَا ، وَأَغْطَشَ، دَحَىٰهَآ ، وَبُرِّزَتِ ، ٱلْمَأْوَىٰ، مُرْسَىٰهَا).

س٢ : بأي شيء أقسم اللَّه تعالى في أول السورة، وما جواب القسم؟.

س٣: لماذا استبعد المشركون وقوع البعث؟ وكيف ردت عليهم السورة؟.

س٤ : قسّمت السورة الناس يوم القيامة إلى فريقين، فمَنْ هما؟ وما مصير كل فريق؟.

س٥ : اذكر الآيات التي تدل على أنَّ الغيب لا يعلمه إلا اللَّه تعالى.

س٦ : وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) الاستفهام في قوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾.

(ب) قوله: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾.

س٧: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

* * *



سورة عبس
(مكية وهي: اثنتان وأربعون آية)

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾

عتاب لرسول اللَّه ﷺ

﴿عَبَسَ﴾ قطّب وجهه، أي: النبي ﷺ، يعني استنكر الشيء بوجهه، ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرض.

﴿أَن جَآءَهُ﴾ لأنْ جاءه، أي: لمجيء الأعمى يسأل عن أمور دينه، فـ(أن) في موضع نصب مفعول له ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ عبد اللَّه بن أم مكتوم رضي الله عنه، وأمُّ مكتوم: أمُّ أبيه، وأبوه شريح بن مالك.

نزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول اللَّه ﷺ، فجعل يقول: يا رسول اللَّه، أرشدني، وعند رسول اللَّه ﷺ رجلٌ من عظماء المشركين، فجعل رسول اللَّه يعرض عنه، ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأسا؟ فيقول: لا، فنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾، فكان رسول اللَّه ﷺ يكرمه بعدها، ويقول مرحبًا بمَنْ عاتبني فيه ربى، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما[1].

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ وأي شيء يجعلك عالمًا بحال هذا الأعمى ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ لعلَّ الأعمى يتطهر من دنس الجهل بما يسمع منك، وأصله يتزكى، فأدغمت التاء

---

(١) قال الإمام الترمذي: حديث غريب، ورواه الإمام الحاكم في المستدرك باب تفسير سورة عبس وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾

في الزاي، وكذا ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ قرأ عاصم ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ بالنصب جوابًا للعل، وقرأ غيره بالرفع عطفًا على ﴿يَذَّكَّرُ﴾. ﴿ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ ذكراك، أي موعظتك، أي: إنك لا تدرى ما هو مترقب منه من تَزَكٍّ ولو دريت لَمَا فرط ذلك منك. ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي: مَنْ كان غنيًا بالمال، فاستغنى عن اللَّه وعن الإيمان بما له من الثروة والمال.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ تتعرض للإقبال عليه حرصًا على إيمانه.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ وليس عليك بأس في ألا يتزكى بالإسلام، إن عليك إلا البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يُسرع في طلب الخير.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ اللَّه أو الكفار، أي أذاهم في إتيانك.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل، وأصله تتلهى.

القرآن موعظة وتذكرة

﴿كَلَّآ﴾ «حقًّا» ﴿إِنَّهَا﴾ إنَّ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فمَنْ شاء أن يتعظ ويعتبر بهذا التذكير فاز وربح، ومَنْ شاء غير ذلك خسر وضاع، وجاء الضمير مُذكَّرًا؛ لأنَّ التذكرة هنا في معنى الذِّكر والوعظ، والمعنى: فمن شاء الذكر ألهمه اللَّه إياه.

﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ فِي صُحُفٍ ﴾ صفة لتذكرة؛ أي: أنَّها مثبتة في صحف منسوخة من اللوح، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي في صحف ﴿ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ عند اللَّه. ﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ في السماء، أو مرفوعة القدر والمنزلة ﴿ مُّطَهَّرَةٍ ﴾﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ كَتَبَة، جمع سافر بمعنى سفير؛ أي: رسول وواسطة؛ أي الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح. ﴿ كِرَامٍ ﴾ على اللَّه أو عن المعاصي ﴿ بَرَرَةٍ ﴾ أتقياء، جمع بارّ.

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ ﴾ لُعن الكافر وطُرد من رحمة اللَّه تعالى ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ استفهام توبيخ، أي: أيّ شيء حمله على الكفر، أو هو تعجب، أي ما أشد كفره.

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾؟ استفهام ومعناه التقرير، ثم بَيَّنَ ذلك الشيء فقال: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ على ما يشاء من خلقه. ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ نصب السبيلَ بفعل مضمرٍ دل عليه ﴿ يَسَّرَهُ ﴾؛ أي: ثمَّ سهَّل له سبيل الخروج من بطن أمه، أو بيّن له سبيل الخير والشر.

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ جعله ذا قبر يُوارى فيه تكريمًا له، لا كالبهائم، وَقَبَرَ الميّتَ أي: دَفَنَه، وأقبره إذا أمر بدفنه، أو مكّن غيره من دفنه. ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ أحياه بعد موته.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع للإنسان عن الكفر ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ لم يفعل هذا الكافر ما أمره اللَّه به من الإيمان.

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾

من نعم الله على الإنسان

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ الذي يأكلُه ويحيا به كيف دبرنا أمره، ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ يعني: المطر من السحاب، ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ بالنبات، ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ كالبرِّ والشعير وغيرهما مما يُتغذَّى به.

﴿ وَعِنَبًا ﴾ ثمرة الكَرْم؛ أي الطعام والفاكهة ﴿ وَقَضْبًا ﴾ وهو كل ما يؤكل من النبات رطبا، كالقثاء والخيار ونحوهما، وسمي قَضْبًا، لأنه يُقْضَب ـ أي يُقطع ـ مرة بعد أخرى.

﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ ﴾ وبساتين ﴿ غُلْبًا ﴾ غلاظ الأشجار، جمع غَلْباء.

﴿ وَفَٰكِهَةً ﴾ لكم ﴿ وَأَبًّا ﴾ مرعى لدوابكم.

﴿ مَّتَٰعًا ﴾ مصدر، أي منفعة ﴿ لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾.

أهوال يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ صيحة القيامة؛ لأنَّها تَصُخُّ الآذان، أي: تُصِمُّها لشدة صوتها، وجوابه محذوف يدل عليه قوله: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴾ لتبعاتٍ بينه وبينهم، أو لاشتغاله بنفسه.

﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ ﴾ وزوجته ﴿ وَبَنِيهِ ﴾ بدأ بالأخ ثم بالأبوين؛ لأنَّهما الأقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين؛ لأنهم أحب.

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢﴾

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ﴾ في نفسه ﴿يُغۡنِيهِ﴾ يكفيه عن الاشتغال بأي أمر آخر سواه.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾ مضيئة من قيام الليل أو من آثار الوضوء. ﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾ أي: أصحاب هذه الوجوه ـ وهم المؤمنون ـ ضاحكون مسرورون.

﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾ غُبار. ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يعلو الغبرة سواد كالدخان، ولا ترى أقبح من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الحالة ﴿هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ﴾ في حقوق اللّٰه ﴿ٱلۡفَجَرَةُ﴾ في حقوق العباد، ولما جمعوا الفجور إلى الكفر جمع إلى سواد وجوههم الغبرة.

من الأسرار البلاغية

ـ في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، حيث كان مقتضى الظاهر أن يقول الله لرسوله ﷺ: «عبست وتوليت»، لكنه عدل عن ذلك إجلالًا له ولطفًا به؛ لما في المشافهة بتاء الخطاب من العتاب الصريح .

ـ في قوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ استفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي هو التوبيخ.

ـ في قوله: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ استفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى مجازي وهو التقرير.

ـ في قوله: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾ مجاز مرسل؛ لأنَّ الحدائق نفسها ليست غليظة، بل الغليظ أشجارها.

بعض ما يستفاد من السورة

١ـ الأخذ بالأَوْلى والنظر في تقديم الأهم على المهم.

٢ـ الحرص على دعوة الناس وهدايتهم.

٣ـ العمى الحقيقي عمى القلب والبصيرة وليس البصر.

٤ـ المساواة في الدعوة، فلا فرق بين الأغنياء والفقراء.

٥ـ الأدب الرباني في نصيحة الآخرين، فلا بُدّ أن نهتم بمشاعرهم حتى لا يُؤذيهم قولنا.

٦ـ على المسلمين أن تكون أفعالهم وأقوالهم موافقة لما في القرآن.

٧ـ الترغيب في الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة.

* * *

الأسئلة

س١: ما معنى ﴿عَبَسَ﴾، ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾؟ ومَنْ هو الأعمى؟ وما سبب نزول الآيات؟ وكيف كان النبي ﷺ يعامله بعد نزول تلك الآيات؟.

س٢: ما معنى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾؟ وما أصل قوله ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾؟ وما معنى ﴿ٱسْتَغْنَىٰ﴾؟ وما المراد بقوله: ﴿تَصَدَّىٰ﴾؟ وما أصله؟.

س٣: ما معنى ﴿قُتِلَ﴾؟ وما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾؟ ولِمَ نُصب ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾؟ وما معنى ﴿صَبَبْنَا، شَقَقْنَا﴾؟.

س٤: ما معنى ﴿وَقَضْبًا﴾، ولِمَ سُمِّي بذلك؟ وما ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾؟ ولم سميت بذلك؟ وما المراد بصاحبته؟.

س٥: ما معنى ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾؟ وعلام يدل قوله تعالى: ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾؟ وما معنى ﴿غَبَرَةٌ﴾؟ وما المصير الذي ينتظرهم لجمعهم الفجور إلى الكفر؟.

س٦: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

(ب) في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾.

(ج) في قوله تعالى: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾.

س٧: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

* * *



سورة التكوير

(مكية وهي: تسع وعشرون آية)

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦﴾

من أهوال يوم القيامة

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ ذُهِبَ بضوئها، وأصل التكوير: لفُّ الشيء على جهة الاستدارة، تقول: كوّرت العمامة، إذا لففتها، ولفظ ﴿ٱلشَّمۡسُ﴾ مرفوع على أنه فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده، أي: إذا كورت الشمس كورت؛ لأن ﴿إِذَا﴾ يطلب الفعل؛ لما فيه من معنى الشرط.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ تساقطت، ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ عن وجه الأرض وأبعدت، أو سُيِّرت في الجو تسيير السحاب، ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ﴾ جمع عَشْراء، وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر. ﴿عُطِّلَتۡ﴾ أهملت وتُركت بدون راع يحميها، لاشتغال أصحابها بأنفسهم، ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾ جُمعت من كل ناحية، وعن ابن عباس رضي الله عنهما حَشرُها: موتها.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ أي: مُلئت، وفجر بعضها إلى بعض وصارت بحرًا واحدًا. وقيل: مُلئت نِيرانًا؛ لتعذيب أهل النار.

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ ﴾

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴾ قُرنت كل نفس بشكلها؛ الصالح مع الصالح في الجنة، والطالح مع الطالح في النار، أو قرنت الأرواح بالأجساد، أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين.

﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ ﴾ المدفونة حية، وكان بعض العرب يئدون البنات؛ خشية الإملاق. ﴿ سُئِلَتۡ ﴾ سؤال الموءودة سؤال تلطف لتقول: بلا ذنب قُتلتُ.

أو سؤال توبيخ لقاتلها، قال الحسن: أراد اللَّه أن يوبخ قاتلها؛ لأنها قتلت بغير ذنب، أو لتدل على قاتلها. ﴿ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴾ فيه دليل على أن أطفال المشركين لا يُعذَّبون، وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب. ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴾ فُتِحَت بعد أن كانت مَطوية.

والمراد صحف الأعمال تُطوى عند الموت، وتنشر يوم القيامة، ويجوز أن يُراد نشرت بين أصحابها، أي: فَرّقت بينهم. ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ قال الزَّجَّاج: قُلعت كما يقلع السقف.

﴿ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴾ أوقدت إيقادًا شديدًا، وتسعيرها: إيقادها بشدة.

﴿ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴾ قربت وأُدْنيت من المتقين، كقوله: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴾[1]، عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهم أنهما قرآها، فلما بلغا ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴾

---

(١) سورة ق. الآية: ٣١.

﴿أَحۡضَرَتۡ ١٤ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾

﴿أَحۡضَرَتۡ﴾ قالا: لهذا أجريت القصة، فالمعنى على هذا: إذا الشمس كورت وكانت هذه الأشياء، علمت نفس ما أحضرت من عملها.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ أي: كل نفس ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ من خير وشر، وهذا جواب ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ وما بعدها.

صِدقُ الوحي القرآني

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ (لا) زائدة لتأكيد القسم، وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾.

﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾ جمع خانِسة، وهي التي تَخْنس، أي تختفي. ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾ الكواكب السيارة ﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾ قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتَخْنس بالنهار، فَتُخْفى فلا تُرى، وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّها الكواكب تَخْنس بالنهار فلا تُرى، وتَكْنِس: - أي تستتر - فتأوي إلى مجاريها. ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ أقبل بظلامه، أو أدبر، فهو من الأضداد.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ امتد ضوءه، ولما كان إقبال الصبح يلازمه الرَّوْح والنسيم جعل ذلك نفسًا له مجازًا، وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ أي: جبريل عليه السلام، وإنما أضيف القرآن إليه؛ لأنَّه هو الذي نزل به ﴿كَرِيمٖ﴾ عند ربه، ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ قدرة على ما يُكلَّف؛ لا يعجز عنه ولا يضعف ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ عند اللَّه ﴿مَكِينٖ﴾ ذي جاه ومنزلة، وقال: ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ ليدل على عظم منزلته ومكانته.

﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أي: في السماوات يطيعه مَنْ فيها، أو عند ذي العرش ـ أي: عند اللَّه ـ يطيعه ملائكته المقربون، يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي.

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم ﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿ بِمَجْنُونٍ ﴾ كما تزعم الكفرة، وهو عطف على جواب القسم ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ ﴾ رأى محمدٌ ﷺ جبريل عليه السلام على صورته ﴿ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ بمطلع الشمس ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ ما محمد ﷺ على الوحي ﴿بِضَنِينٍ﴾ ببخيل؛ من الضَّنِّ وهو البخل؛ أي: لا يبخل بالوحي، كما يبخل الكُهَّان رغبة في الحُلْوان ـ وهو ما يُعطاه الكاهن من أجر ـ بل يعلِّمه كما عُلِّم ولا يكتم منه شيئا، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: بالظاء، بمعنى مُتَّهَم؛ من الظِّنَّة وهي التهمة، والمعنى: وما محمد ﷺ بمتهم فيما يبلغه عن ربه.

﴿ وَمَا هُوَ ﴾ وما القرآن ﴿ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ طريد، وهو كقوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾[1] أي: وليس هذا القرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ بقول شيطان مرجوم مُسْتَرِقٍ للسمع، وإنَّما هو كلام اللَّه تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ جملة معترضة بين ما سبقها، وبين قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾، والمقصود بها توبيخهم وتعجيزهم عن أن يأتوا ولو بحجة واحدة يدافعون بها عن أنفسهم؛ وقال الزَّجَّاج: معناه: فأي طريق

(١) سورة الشعراء. الآية: ٢١٠.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بُينت لكم. وقال الجُنَيْد: فأين تذهبون عنا وإِنْ من شيء إلا عندنا؟

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ما القرآن إلا عظة للخلق. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من العالمين ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي: القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مالك الخلق أجمعين.

من الأسرار البلاغية

ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ استعارة مَكْنِيَّة؛ لأنَّه حذف المشبه به وأتى بشيءٍ من لوازمه وهو التنفس، حيث شبه الصبح بماشٍ وآتٍ من مسافة بعيدة، وإثبات التنفس قرينة، وإسنادها له تخييل.

ـ افتتاح السورة بـ ﴿إِذَا﴾ افتتاح مشوق؛ لأنَّها في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ توجيه السؤال إلى الموءودة توبيخ وتخطئةٌ للذي وَأَدهَا، وليكون جوابها شهادة على مَنْ وأدها، فيكون استحقاقه العقاب أشدَّ وأظهر.

ـ في قوله تعالى: ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ استفهام تقريري، وإنَّما سُئلت عن تعيين الذنب الموجب قتلها دون أن تسأل عن قاتلها؛ لزيادة التهديد.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ـ تصوير هول يوم القيامة وبيان علاماتها الدالة على قرب وقوعها.

٢ـ كمال عدله تعالى بين الخلائق.

٣ـ وجوب الإيمان بيوم القيامة والحث على الاستعداد له بالعمل الصالح.

٤ـ حرمة النفس الإنسانية.

٥ـ بيان قدرة اللَّه تعالى المطلقة.

٦ـ بيان شرف القرآن الكريم وعُلوّ منزلته.

٧ـ بيان فضل جبريل عليه السلام.

٨ـ بيان فضل الرسول محمد ﷺ.

٩ـ مشيئة اللَّه نافذة لا يمكن أن تُعارَض أو تُمانَع.

❊ ❊ ❊



الأسئلة

س١: ما معنى ﴿كُوِّرَتْ﴾؟ وما أصل التكوير؟ وما إعراب ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾؟ وما معنى ﴿ٱنكَدَرَتْ ـ سُيِّرَتْ﴾؟.

س٢: ما مفرد ﴿ٱلْعِشَارُ﴾، وما معناها؟ وما المراد بقوله: ﴿عُطِّلَتْ﴾؟ ومَنْ هي ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾؟.

س٣: لماذا كان العرب يئدون بناتهم؟ وما نوع السؤال؟ وما سببه؟.

س٤: ما معنى ﴿كُشِطَتْ﴾؟ وما أصل الخنوس؟ وما معنى ﴿عَسْعَسَ﴾؟.

س٥: ما المراد بالغيب؟ وما معنى ﴿بِضَنِينٍ﴾؟ وما الفرق بين قراءة ﴿بِضَنِينٍ﴾ وقراءة (بظنين)؟.

س٦: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) افتتاح السورة بـ ﴿إِذَا﴾.

(ب) قوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

توجيه السؤال إلى الموءودة.

س٧: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

* * *

سورة الانفطار

(مكية وهي: تسع عشرة آية)

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾

من أهوال يوم القيامة

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ انشقت ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ تساقطت.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ فُتح بعضها إلى بعض وصارت بحرًا واحدًا ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ خرج ما فيها من الموتى مسرعين، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ أي: كل نفس؛ بَرَّةٌ وفاجرة ﴿مَّا قَدَّمَتۡ﴾ ما عملت من طاعة ﴿وَأَخَّرَتۡ﴾ وتركت فلم تعمل، أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث.

تكريم الإنسان

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ قيل: الخطاب لمنكري البعث ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي: أي شيء خدعك حتى ضيَّعت ما وجب عليك مع كرم ربك، حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل، وعنه ﷺ حين تلاها، قال: «غرَّه جهله»[١]. ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ فجعلك مستوي الخلق سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ فصيَّرك مُعتدلًا متناسب الخلق من غير تفاوت، فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع، أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائمًا، لا كالبهائم.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه.



﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ (مَا) مزيدة للتوكيد، أي: ركَّبك في صورة هي من أبهى الصور وأجملها، ولم تُعطف هذه الجملة كما عُطف ما قبلها؛ لأنَّها بيان لـ (عدَلك).

﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر عن الاغترار بكرم اللَّه تعالى. ﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ وهو الجزاء، أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابًا ولا عقابًا.

حفظ أعمال الإنسان

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾ أي: وإنّ عليكم ملائكة من صفاتهم أنهم يحفظون أعمالكم وأقوالكم، ويسجلونها عليكم.

﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ يعني: أنَّكم تُكذِّبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم، لِتُجازوا بها.

﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم، وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيمٌ لأمر الجزاء، وأنَّه عند اللَّه من جلائل الأمور، وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين، وعن الفضيل أنَّه كان إذا قرأها قال: ما أشدَّها من آيةٍ على الغافلين.

جزاء الأبرار والفجار

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾ أي: إن المؤمنين لفي نعيم الجنة.

﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ أي: وإن الكفار لفي النار.

﴿ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾

﴿ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ يدخلونها يوم الجزاء.

﴿ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ أي: لا يخرجون منها كقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ ﴾[1].

ثمَّ عظَّم شأن يوم القيامة فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ فكرَّر للتأكيد والتهويل.

ثمَّ فصَّل سبحانه جانبًا من أهوال ذلك اليوم بقوله: ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ أي: لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها، وإنَّما تملك الشفاعة بالإذن. ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ أي: لا أمر إلا لله تعالى وحده فهو القاضي فيه دون غيره. واختتمت السورة الكريمة كما بدئت بالتهويل من شأن يوم القيامة، ليزداد العقلاء استعدادًا له.

من الأسرار البلاغية

- في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ ﴾ أسلوب نداء الغرض منه التنبيه، حيث يُشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسماعه، فليس النداء مستعملًا في حقيقته؛ إذ ليس مرادًا به طلب إقبال.

- في قوله تعالى: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ استفهام الغرض منه الإنكار والتعجب من الإشراك بالله تعالى.

- في قوله تعالى: ﴿ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ صيغة المضارع أَفَادَتْ أن تكذيبهم بالجزاء متجدد لا يقلعون عنه.

(١) سورة المائدة. الآية: ٣٧.



بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ـ عظم يوم القيامة وأهواله.

٢ـ على الإنسان ألا يغره إمهال اللَّه له وحلمه عليه، بل عليه المسارعة في التوبة.

٣ـ امتنان اللَّه على الإنسان حيث جعله في أحسن صورة.

٤ـ وجوب شكر النعمة، فنعم اللَّه تعالى لا تُعدُّ ولا تُحصى.

٥ـ بيان أنَّ القائمين بحقوق اللَّه وحقوق عباده جزاؤهم النعيم.

٦ـ المقصرون في حقوق اللَّه وحقوق عباده جزاؤهم الجحيم.

* * *

الأسئلة

س١: ما معنى: (ٱنفَطَرَتۡ ـ ٱنتَثَرَتۡ ـ فُجِّرَتۡ ـ بُعۡثِرَتۡ ـ قَدَّمَتۡ ـ أَخَّرَتۡ)؟.

س٢: ما جواب ﴿إِذَا﴾؟ وما معنى ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾؟ وما معنى ﴿فَعَدَلَكَ﴾؟ وما نوع ﴿مَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟.

س٣: لِمَ لَمْ يُعطف قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ كما عُطف ما قبله؟.

س٤: ما معنى ﴿كَلَّا﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾، ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾؟.

س٥: ما ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾؟ وما معنى ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾؟ وما فائدة تكرار ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾؟ وما معنى ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾؟.

س٦: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ بصيغة المضارع.

س٧: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

***



سورة المطففين

(مَكيَّة وهي: ست وثلاثون آية)

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾

وعيد المطففين

﴿وَيۡلٞ﴾ لفظ دالٌّ على الهلاك والعذاب، وهو مبتدأ خبره ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ جمع مطفِّف، والتطفيف: الإنقاص في المكيال أو الميزان، والمراد الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ أي إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة، ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالًا يضرُّهم، ويتحامل فيه عليهم، أبدل ﴿عَلَى﴾ مكان (من)؛ للدلالة على ذلك.

ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى﴾ بـ ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾، ويُقدَّم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص، أي: يستوفون على الناس خاصة، والضمير المنصوب في ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ راجع إلى الناس، أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذف الجارّ وأوصل الفعل، ويحتمل أنَّ المطففين كانوا لا يأخذون ما يُكال ويُوزن إلا بالمكاييل، لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة. ﴿يُخۡسِرُونَ﴾ ينقصون، يُقال: خسر الميزان وأخسره.



﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴾ أدخل همزة الاستفهام على (لا) النافية توبيخًا، وليست ﴿ أَلَا ﴾ هذه للتنبيه، وفيه إنكار وتعجيب من حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يخطر ببالهم ولا يخمِّنون تخمينًا أنَّهم مبعوثون.

﴿ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ يعني يوم القيامة، فهم محُاسبون على مقدار الذرة، وعن عبد الملك بن مروان أنَّ أعرابيًا قال له: لقد سمعت ما قال اللَّه في المطففين فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن.

﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ ﴾ نُصب بـ ﴿ مَّبۡعُوثُونَ ﴾ ﴿ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ لأمره وجزائه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قرأ هذه السورة، فلمَّا بلغ هنا بكى نحيبًا[1] وامتنع من قراءة ما بعده.

جزاء الفجار

﴿ كَلَّآ ﴾ ردع وتنبيه، أي: ردع لهم عمَّا كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب، وتنبيهٌ لهم على أنَّه ممَّا يجب أن يُتاب عنه ويُندم عليه.

ثمَّ أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ ﴾ صحائف أعمالهم.

﴿ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴾ ﴿ سِجِّينٞ ﴾ كتاب جامع، هو ديوان الشر، دوَّن اللَّه فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس، وسمي سجينًا فِعِّيلا من السجن وهو الحبس والتضييق؛ لأنَّه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنَّه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان مظلم.

---

(١) أي بكاء شديدًا من النحب وهو أشد البكاء.

﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ٩ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾

﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ﴾ بَيِّنُ الكتابة، أو مُعلَّم يعلم مَنْ رآه أنَّه لا خير فيه.

﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ وعيد وتهديد لأولئك المنكرين للبعث يوم يخرج المكتوب.

﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الجزاء والحساب.

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ ﴾ بذلك اليوم ﴿ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ ﴾ مجاوز للحد. ﴿ أَثِيمٍ ﴾ مكتسب للإثم.

﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ أي أحاديث المتقدمين.

وقال الزَّجَّاج: ﴿ أَسَٰطِيرُ ﴾: أباطيل، واحدها أسطورة؛ مثل أحدوثة وأحاديث.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع للمعتدي الأثيم عن هذا القول ﴿ بَلۡ ﴾ نفي لما قالوا ﴿ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ غطَّاها كسبهم؛ أي: غلب على قلوبهم حتى غَمَرَها ما كانوا يكسبون من المعاصي.

قال الحسن: الران هو الذنب بعد الذنب حتى يَسْوَدّ القلب.

وقال الضَّحَّاك: الرَّيْن موت القلب.

﴿ كَلَّآ ﴾ ردع عن الكسب الرائن على القلب ﴿ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ ﴾ عن رؤية ربهم ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ لممنوعون.



﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩﴾

قال الزجاج: في الآية دليل على أنَّ المؤمنين يرون ربهم، وإلا لا يكون التخصيص مفيدًا.

وقال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته.

وقال مالك بن أنس: لَمَّا حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ﴾ ثمَّ بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتنكرون وقوعه.

من جزاء الأبرار

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التكذيب ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ ما كُتب من أعمالهم، والأبرار: المطيعون الذين لا يطففون الميزان ويؤمنون بالبعث؛ قال الحسن: البَرُّ الذي لا يُؤذي الذّرَّ ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ هو عَلَم لديوان الخير الذي دُوِّن فيه كلُّ ما عملته الملائكة، وصالحو الإنس والجن.

وأصل ﴿عِلِّيِّينَ﴾ من العلو: سُمي به؛ لأنَّه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، أو لأنَّه مرفوع في السماء السابعة تكريمًا له.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ ما الذي أعلمك يا محمد ﷺ ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي شيء هو؟

﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ ﴾

﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ﴾ كتاب الأبرار كتاب واضح بيِّن. ﴿ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ تحضره الملائكة.

﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ تُنَعَّم في الجنان، ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ ﴾ الأَسِرّة ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ إلى كرامة اللَّه ونعمه، وإلى أعدائهم كيف يُعذَّبون، ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ بهجة التنعم، ﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾ شراب خالص لا غِشّ فيه.

﴿ مَّخۡتُومٍ ﴾ مسدود لم تمسه يد قبل أيدي هؤلاء الأبرار.

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ ﴾ تُختم أوانيه بمسك بدل الطين الذي يُختم به الشراب في الدنيا، أمر اللَّه تعالى بالختم عليه إكراما لأصحابه، أو ختامه مسك أي: مقطعه[1] رائحة مسك، أي: توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ ﴾ الرحيق أو النعيم ﴿ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ فليرغب الراغبون، وذلك إنما يكون بالمسارعة إلى الخيرات والانتهاء عن السيئات.

﴿ وَمِزَاجُهُۥ ﴾ ومزاج الرحيق ﴿ مِن تَسۡنِيمٍ ﴾ هو عَلَم لِعَينٍ بعينها، سميت بالتسنيم لأنها أرفع شراب في الجنة، أو لأنها تأتيهم من فوق وتَنْصَبُّ في أوانيهم.

﴿ عَيۡنٗا ﴾ حال، أو نُصب على المدح ﴿ يَشۡرَبُ بِهَا ﴾ أي: منها ﴿ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يشربها المقربون خالصةً وتُمزج لأصحاب اليمين.

---

(١) مقطع كل شيء: منتهاه، الصحاح.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾

الجزاء من جنس العمل

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾ كفروا ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ في الدنيا استهزاء بهم ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴾ يشير بعضهم إلى بعضٍ بِالْعَيْنِ طعنًا فيهم وعيبًا لهم.

﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ﴾ أي: إذا رجع الكفار إلى منازلهم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ متلذذين بذكرهم والسخرية منهم، وقرأ غير حفص (فاكهين) أي فرحين.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ ﴾ وإذا رأى الكافرون المؤمنين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ أي: خدع محمد ﷺ هؤلاء فَضَلُّوا وتركوا اللذات، لما يرجونه في الآخرة من الكرامات، فقد تركوا الحقيقة بالخيال، وهذا هو عين الضلال.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ ﴾ وما أرسل الكفار ﴿عَلَيۡهِمۡ ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم، بل أمروا بإصلاح أنفسهم، فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تَتَبُّعِ غيرهم وتسفيه أحلامهم.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴾ بسبب استهزاء الذين أجرموا من المؤمنين في الدنيا، كافأ اللَّه تعالى المؤمنين على صبرهم، فجعلهم يوم القيامة يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء مهانين، كما كان الكفار يضحكون من المؤمنين في الدنيا.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ في محل النصب على الحال، أي: يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان بعد العزة والاستكبار وهم على الأرائك آمنون، وقيل: يُفتح للكفار باب إلى الجنة، فيقال لهم: هَلُمُّوا إلى الجنة، فإذا وصلوا إليها، أُغلق دونهم، فيضحك المؤمنون منهم.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ هل جُوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا إذا فُعل بهم ما ذُكر.

من الأسرار البلاغية

- في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ استئناف ناشئ عن الوعيد والتقريع لهم بالويل على التطفيف.

- في قوله تعالى: ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ التعبير بالمضارع لاستحضار الحال.

- في قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ تشبيه بليغ، أي كالمسك في الطيب والبهجة، فحذف منه الأداة ووجه الشبه، فأصبح بليغا.

- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ توبيخ ولوم لزيادة تعذيبهم، وهو ما ينتظره كلٌّ من عاند.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ـ الوعيد الشديد للذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، أو لمن يأخذ أموال غيره عنوة أو سرقة.

٢ـ الإيمان بالبعث والجزاء رادع للإنسان عن المعاصي والسيئات.

٣ـ إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.



٤ـ الأبرار هم أهل الجنة ومكانهم في أعلى الجنان.

٥ـ الحث على التسابق و المبادرة إلى اللَّه بالأعمال الصالحة.

٦ـ الجزاء من جنس العمل.

***

الأسئلة

س١ : ما الويل؟ وما إعرابه؟ وما معنى ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾؟.

س٢ : لِمَ أبدل (على) مكان (إلى) في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾؟ ولِمَ قدم المفعول على الفعل؟.

س٣: ما الغرض من ﴿كَلَّآ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾؟ وما المراد بها؟ وما معنى ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾؟ وما معنى ﴿سِجِّينٍ﴾؟ ولم سُمي بذلك؟ وما معنى ﴿مَّرْقُومٌ﴾؟.

س٤ : ما معنى (رَانَ ـ عَن رَّبِّهِمْ ـ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)؟ وعلام استدل الزَّجَّاج بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

س٦ : اذكر بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة.



سورة الانشقاق

(مكية وهي: خمس وعشرون آية)

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ﴾

أهوال يوم القيامة وانقسام الناس فريقين

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ تَصدَّعت، وتَشقَّقت، ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ سَمِعت وأطاعت وأجابت ربَّها إلى الانشقاق، ولم تَأْبَ، ولم تمتنع، ﴿وَحُقَّتۡ﴾ أي: وحُقَّ لها أن تسمع وتُطيع لأمر اللَّه؛ إذ هي مصنوعةٌ مربوبة لله تعالى، ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ بُسِطَت وسُوِّيت باندكاك جبالها، وكلِّ مُرتفعٍ فيها. ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ أي: أخرجت ما في جَوفِها من الكُنُوز والموتى. ﴿وَتَخَلَّتۡ﴾ وَخَلَتْ غاية الخُلوِّ، حتى لم يبق شيءٌ في باطنها، كأنَّها تكلَّفت أقصى جَهْدها في الخُلُو، يقال: تَكَرَّم الكريمُ: إذا بلغ جَهْده في الكرم، وتكلَّف فوق ما في طبعه. ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخلِّيها ﴿وَحُقَّتۡ﴾ وهي حَقيقةٌ بأنْ تنقاد ولا تمتنع.

وحذف جواب ﴿إِذَا﴾؛ لِيَذهبَ المُقَدِّر في تقديره كُلَّ مَذهب، أو أنَّه محذوفٌ، اكتفاءً بذكره في سور أخرى؛ مثل: سورة التَّكوير، حيث جاء الجواب في قوله تعالى:﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾، وسورة الانفطار؛ حيث جاء الجواب في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾، أو جوابه ما دلَّ عليه قوله ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾، أي: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ لاقى الإنسان كَدْحَه، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ﴾ خطاب



﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾

للجنس، ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾، ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ الضمير يعود على الكَدْح، وهو جَهْد النَّفس في العمل، والكدُّ فيه، حتى يؤثر فيها.

والمراد: جزاء الكدْح إنْ خيرًا فخيرٌ وإن شرًا فشرٌّ.

وقيل: لقاء الكدْح: لقاءُ كتابٍ فيه ذلك الكَدْح، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ أي: كتابَ عمله. ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلًا هينًا، وهو: أن يُجازى على الحسنات، ويتجاوز عن السيئات، وفي الحديث: «من يُحاسَب يُعذَّب، فقيل: فأين قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: ذلكم العَرْض، مَنْ نُوقِشَ الحِساب عُذِّب»[1]، ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين، أو إلى فريق المؤمنين عامة، أو ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الجنَّة من الحور العين. ﴿مَسْرُورًا﴾ فَرِحًا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾

قيل: تُغَلُّ يُمْنَاهُ إِلَى عُنُقه، وتُجْعَل شِمالَه وَرَاء ظَهْره، فيُؤتَى كتابَه بشِماله من وراء ظهره.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ يقول: يا ثُبوراه! والثُّبُور: الهلاك. ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي: يدخل جهنَّم.

---

(١) متفق عليه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾

﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ في الدنيا ﴿فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾ معهم ﴿مَسۡرُورًا﴾ بالكفر، يضحك ممن آمن بالبعث.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ لن يرجع إلى ربه؛ تكذيبًا بالبعث، فالحَوْرُ معناه الرُّجوع.

﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجابٌ لما بعد النفي في قوله تعالى: ﴿لَّن يَحُورَ﴾ أي: بلى ليَحُورَنَّ. ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ﴾ وبأعماله ﴿بَصِيرٗا﴾ لا تخفى عليه، فلا بدَّ أن يُرجعه ويُجازيه عليها.

وقوع القيامة وما يتبعها من الأهوال

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ فأقسم بالبياض بعد الحُمْرة، أو الحُمْرة، وهي التي تظهر في أُفق السَّماء قبل طلوع الشمس، وبعد غروبها.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جَمَع وضمَّ من الظُّلمة والنَّجم، أو ما عُمل فيه من طاعة للَّه تعالى كالتَّهجد وغيره. ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ اجتمع وصار بدرًا، على وزن افتعل، مِنْ الوَسْق. ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ أيّها الإنسان، على إرادة الجنس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ حالًا بعد حال، كُلُّ واحدة مطابقة لأختها في الشِّدة والهَول، والطَّبَق: ما طابق غيره، يقال: ما هذا بِطَبَقٍ لذا، أي: لا يُطابقه، ومنه قيل للغطاء: الطبق.

ويجوز أن يكون جمع طبقة، وهي المَرْتَبة، من قولهم: هو على طبقات، أي: لَتَرْكَبُنَّ أحوالًا بعد أحوال؛ هي طبقات في الشِّدة، بعضُها أرفعُ من بعض، وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها.

﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۢ ٢٥ ﴾

وقوله تعالى: ﴿عَن طَبَقٍ﴾ في محل نصب صفة لقوله تعالى: ﴿طَبَقًا﴾، أي: ﴿طَبَقًا﴾ مجاوزًا لطبق.

ويجوز أن يكون حالًا من الضمير في ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾، أي: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا﴾ مجاوزين لطبق.

وقرأ ابْن كثير وَحَمْزَة والكِسائي (لتركبن) بفتح الباء، وعليه يكون الخطاب للنبي ﷺ، أي: ﴿طَبَقًا﴾ مِنْ أطباق السَّماء بعد ﴿طَبَقٍ﴾ أي: في المعراج.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ فما لهم في ألّا يؤمنوا؟! ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾ لا يخضعون.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث والقرآن.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يجمعون في صدورهم، ويُضْمِرون من الكُفْر، وتكذيب النبيِّ ﷺ، أو: بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويَدَّخرون لأنفسهم من أنواع العذاب، ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أخبرهم خَبَرًا يظهر أثره على بَشْرَتِهم حُزنًا وهمًّا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناءٌ مُنقطعٌ، وهو: الّذي يكونُ فيه المسْتَثنى من غير جنسِ المسْتَثنى منه، ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۢ﴾ غيرُ مقطوعٍ، أو: غير منقوصٍ، والله أعلم.



من الأسرار البلاغية:

- السَّماءُ والْأَرْضُ بينهما طباق.

- بين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ مقابلة.

- في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ كناية عن الشدة والأهوال التي يتعرض لها الإنسان.

- في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أسلوب تهكمي، ففي استعمال البشارة في موضع الإنذار تهكم وسخرية بالكفار.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ السماء والأرض من آيات اللَّه التي لا تخرج عن طاعته والخضوع لأمره.

٢ـ الإنسان مُلاقٍ جزاء عمله، إِنْ خيرًا فخيرٌ وإِنْ شرًّا فشرٌّ.

٣ـ يأخذ المؤمن كتاب أعماله بيمينه، فيسْهُل عليه الحساب.

٤ـ يندم الكافر عندما يأخذ كتاب أعماله بشماله، فيدعو على نفسه بالهلاك والدَّمار.

٥ـ البعث حقيقة لا يُنْكرها إلا الجاهلون.

٦ـ اللَّه مُطَّلعٌ على أعمالنا، ولا يخفى عليه شيء من أحوالنا.

٧ـ كان يلزم المشركين بعد رؤيتهم الدلائل على صدق النبي ﷺ أن يؤمنوا به ويتَّبِعوه.

٨ـ لأهل الإيمان في الجنَّة نعيمٌ لا ينقطع أبدًا.



الأسئلة

س١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾؟ وما معنى: ﴿وَحُقَّتْ﴾؟ وما معنى ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾؟ ومن أي شيء تخلت؟ وما جواب ﴿إِذَا﴾؟ ولماذا قُدِّر جواب ﴿إِذَا﴾؟

س٢: ما الكدح؟ وما معنى ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾، ثم وضّح المراد بالشفق وما معنى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؟ وما نوع ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؟.

س٣: ما المراد من اتساق القمر؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾؟ وما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟ وما المراد بالسجود؟ وما معنى ﴿فَبَشِّرْهُم﴾؟.

س٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

س٥: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊



سورة البروج

(مكيَّة وهي: اثنتان وعشرون آية)

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾

القسم على لعنة أصحاب الأخدود

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ هي البروج الاثنا عشر، وقيل: النُّجوم، أو أعظم الكواكب ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ أي: ﴿وَشَاهِدٖ﴾ في ذلك اليوم، ﴿وَمَشۡهُودٖ﴾ فيه، والمراد بالشَّاهد: مَنْ يشهد فيه من الخلائق كُلِّهم، وبالمشهود فيه: ما في ذلك اليوم من عجائبه، وقد كثرت أقوال المفسرين في الشّاهد والمشهود، فقيل: الشَّاهد سيدنا محمد ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، وقيل: عيسى عليه السلام وأمَّته؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ﴾[1].

وقيل: أمَّة النبي ﷺ، والمشهود: سائر الأُمَم، أو الحَجَر الأسود والحجيج، أو الأيام والليالي وبنو آدم، أو الحَفَظة وبنو آدم، أو اللَّه تعالى والخَلْق؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾[2]، أو الأنبياء وسيدنا محمد ﷺ.

وجواب القَسَم المتقدِّم في الآيات محذوفٌ، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾، أي: لُعِنَ؛ كأنَّه أقسم بهذه الأشياء أنَّهم ملعونون ـ يعني: كفار قريش ـ كما لُعِنَ أصحاب الأخدود، وهو جمع خَدٍّ، أي: شَقٌّ عظيمٌ في الأرض.

(١) سورة المائدة . الآية: ١١٧ .
(٢) سورة النساء . الآية: ٧٩.



أخبر النّبي ﷺ أنَّه كان لبعض الملوك ساحر، فلما كَبُر ضَمَّ إليه غلامًا؛ ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه، وفي يوم رأى الغلام في طريقه دابةً قد حبست الناس، فأخذ حجرًا وقال: اللهُمَّ إنْ كان الرَّاهبُ أحبَ إليك مِنْ السَّاحر فاقتلها، فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يُبرئ الأكمه ـ وهو الذي وُلِدَ كفيفًا ـ ويعالج الأبرص بإذن اللَّه.

وكان للملِك جليسٌ أصابه العمى فأبرأه الغلام، فلمّا رأى الملِكُ جليسه قد أبْصَر سأله: مَنْ رَدَّ عليك بَصَرك؟ قال: ربي، فغضب الملِكُ وعَذَّبَ جَليسه، فَدلَّه على الغلام فعذبه، فدلَّ الغلامُ على الرَّاهب فلم يرجع الرَّاهب عن دينه حتى فلقوه بالمِنشار، ثُمَّ أَتَوْا بالغلام فأبى أن يترك دينه، وحاولوا قتله فذهبوا به إلى جبل لِيُطرح مِنْ قمته، فدعا وارتجف الجبل بالقوم فطاحوا جميعًا ونجا، فذهبوا به إلى سفينة في البحر ليغرقوه، فدعا فانكفأت بهم السفينة وغرقوا جميعًا ونجا، ثُمَّ قال للملِك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبَني على جِذعٍ، وتأخذ من كِنانتي سهمًا وتقول: بسم اللَّه رب الغلام، ثم ترميني به، ففعل الملِك ومات الغلام، فلمّا رآه النَّاس قالوا جميعًا: آمنَّا برب الغلام.

فقيل للملِك: نزل بك ما كنت تحذر، فخذ أُخْدودًا وامْلأها نارًا، فمن لم يرجع عن دينه اطْرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي، فخافت أن تقع فيها، فقال الصبي: يا أمَّاه اصبري فإنك على الحق، فأُلقي الصبيُ وأُمُّهُ فيها[1].

---

(١) هذه القصة رواها مسلم وغيره.



﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

﴿ٱلنَّارِ﴾ بدلُ اشْتِمَال من ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾، ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ وصْفٌ لها بأنَّها نارٌ عظيمةٌ، لها ما يرتفع به لهبُها مِنَ الحَطَب الكثير وأبدان النَّاس.

﴿إِذْ﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿قُتِلَ﴾، أي: لُعِنوا حين أَحْرقوا بالنَّار قاعدين حولها.

﴿هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي الكفَّار على ما يدنو منها من حافات الأُخْدود ﴿قُعُودٌ﴾ جُلوسٌ على الكراسي.

﴿وَهُمْ﴾ أي الكفَّار ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من الإحراق ﴿شُهُودٌ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنَّ أحدًا منهم لم يفرِّط فيما أمر به، وفوض إليه من التعذيب.

وفيه حثٌّ للمؤمنين على الصبر، وتحمُّل أذى أهل مكَّة.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ وما عابوا منهم وما أنكروا إلَّا الإيمان.

﴿بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ ذَكَر الأوصافَ التي يستحق بها أن يُؤْمَن به، وهو كونه: عزيزًا، غالبًا، قادرًا يُخشى عِقابُه، حميدًا، مُنعمًا، يجب له الحمد على نعمته، ويُرجى ثَوابُه ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

فكلُّ مَنْ فيهما يحقُّ عليه عبادتُه، والخُشوعُ له؛ تقريرًا؛ لأن ما نقموا منهم هو الحقُّ الذي لا يَنقِمه إلا مُبطلٌ، وأنَّ الناقمين أهلٌ لانتقام اللَّه منهم بعذابٍ عظيمٍ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وعيدٌ لهم، يعني: أنَّه عَلم ما فعلوا، وهو مجازيهم عليه.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ يجوز أن يريد بالذين فتنوا: أصحاب الأُخدود خاصّة، وبالذين آمنوا: المطروحين في الأخدود، ومعنى فتنوهم: عذبوهم بالنّار، وأحرقوهم.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ لم يرجعوا عن كفرهم ﴿فَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ في الدنيا؛ لما رُوي أن النّار انقلبت عليهم فأحرقتهم.

ويجوز أن يريد: بالذين فتنوا المؤمنين، أي: بلوهم بالأذى على العموم، وأنَّ للفاتنين عذابين في الآخرة؛ لكفرهم ولفِتْنتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾

أي: الذين صبروا على تعذيب الأخدود، أو هو أعمّ، والمراد: بيان أَخْذ الظَّلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام.

كمال القدرة الإلهية

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: الأخذ بالعنف، فإذا وُصف بالشِّدة فقد تَضاعف وتَفاقم، والمراد: بيان أخذ الظَّلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يخلُقهم ابتداءً، ثُمّ يُعيدهم بعد أن صيَّرهم ترابًا، دَلَّ باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه، أو: أوعد الكفرة بأنّه يُعيدهم كما بَدأهم؛ ليبطش بهم؛ إذ لم يشكروا نعمة الإبداء، وكذَّبوا بالإعادة.



﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ السّاتر للعيوب، العافي عن الذنوب ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ المُحِبُّ لأوليائه.

وقيل: الفاعلُ بأهل طاعته ما يفعله الوَدود من إعطائهم ما أرادوا.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خالقه ومالكه ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ وهناك قراءة بالجر، وهي قراءة حمزة والكِسائي، على أنّه صفة للعرش، ومجد اللَّه: عظمته، ومجد العرش: عُلوّه وعظمته.

﴿فَعَّالٞ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوف، ﴿لِّمَا يُرِيدُ﴾ تكوينَه.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾ خبر الجُمُوع الطّاغية في الأمم الخالية، ﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ بدلٌ من الجنود، وأراد بفرعون: إيّاه وقومَه معه، والمعنى: قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرُّسل، وما نزل بهم لتكذيبهم.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من قومك ﴿فِي تَكۡذِيبٖ﴾ واستحقاق للعذاب، ولا يعتبرون بالجنود، لا لخفاء حال الجنود عليهم، لكن يكذبونك عنادًا.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ عالمٌ بأحوالهم، وقادرٌ عليهم، وهم لا يُعْجزونه.

﴿بَلۡ هُوَ﴾ هذا الذي كذّبوا به ﴿قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ شريفٌ، عالي الطّبقة في الكُتب، وفي نظمه، وإعجازه، وليس كما يزعمون: أنّه مُفْتَرَى، وأنّه أساطير الأولين.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ من وصول الشّياطين، وفي قراءة نافع (محفوظٌ) بالرّفع على أنّه صفة للقرآن، أي: محفوظٌ من التّغيير والتّبديل.



من الأسرار البلاغية:

ـ جاء قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ بطريق التَّنكير؛ ليدل على كثرة الشّاهد والمشهود يوم القيامة، أو ليدلَّ على إبهام الشّاهد والمشهود، حيث لا يعلم أحدٌ وصفهما.

ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أورد الخبر الإنكاري خبر مؤكَّدٌ بإن واللام، للدلالة على شدة عقابه تعالى لمن أنكر الرسالة.

ـ في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ﴾ مجاز مرسل علاقته الحالية؛ لأن التكذيب معنى من المعاني ولا يحل الإنسان فيه.

ـ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ شبَّه علمَ اللَّه بأحوالهم، وقدرته عليهم، مع كونهم لا يفوتونه، بالشيء الذي يحيط به صاحبه، فلا يمكن أن يَفوته.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ إظهار عظمة اللَّه وجليل صفاته.

٢ـ أنَّ اللَّه تعالى يُهلك الأُمم الطاغية في كل حين، ولا سيما الذين يفتنون المؤمنين.

٣ـ أعدَّ اللَّه للمؤمنين الصابرين أجرًا عظيمًا جزاء ما لاقَوْه في الدنيا.

٤ـ ينبغي الاعتبار بمصير الأمم السابقة المكذبة لرسلهم.

٥ـ تكفَّل اللَّه تعالى بحفظ القرآن من التبديل والتغيير والتحريف.

* * *



الأسئلة

س١: ما المراد بالبروج؟ وما وجه وصف السماء بها؟ وما المراد باليوم الموعود؟ ومَنْ المراد بالشاهد والمشهود؟ وماذا أفاد تنكيرهما؟ وما جواب القسم؟.

س٢: مَنْ المراد بأصحاب الأخدود؟ وما قصتهم؟ وما الأخدود؟ وما إعراب ﴿ٱلنَّارِ﴾؟ وكيف كان قعودهم على النار؟ وماذا فعلوا بالمؤمنين؟.

س٣: ما معنى الفَتْن؟ وهل المراد بعذاب الحريق عذاب الدنيا أم الأخرة؟ وما هو البطش؟ وما فائدة وصفه بالشدة؟ ولِمَنْ هذا البطش؟.

س٤: ما المراد من قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟ وما إعراب ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟ وما معنى ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾؟ وما المراد بالحديث؟ وبالجنود؟ وما مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟ وما وجه وصف القرآن بالمجيد؟

س٥: وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

س٦: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة.





سورة الطَّارق

(مكيّة وهي: سبع عشرة آية)

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ ﴾

على كل نفس حافظ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ عَظَّمَ اللَّه قَدْر السَّماء في أعيُن الخَلْق؛ لكونها مصدرَ رزقهم، ومسكنَ ملائكته، وفيها خَلَق الجنَّة، فأقسم بها وبالطارق، والمراد بالطارق: جنس النُّجوم، أو: جنس الشُّهُب التي يُرْجَم بها، لعظم منفعتها، ثُمَّ وصفه بالثاقب، أي: المضيء، كأَنَّه يَثقُب الظَّلام بضوئه فينفذ فيه، ووُصِفَ بالطَّارق؛ لأَنَّه يبدو بالليل، كما يُقال للآتي ليلًا: طارق.

أو: لأَنَّه يَطْرق الجنِّيَ؛ أي: يَصُكُّه، وجواب القسم ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾؛ لأنَّ ﴿لَّمَّا﴾ إنْ كانت مشددة بمعنى (إلَّا)، ـ كقراءة عاصم، وحمزة، وابن عامر ـ، فتكون ﴿إِن﴾ نافية، أي: ما ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾ إلَّا ﴿عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾.

وإنْ كانت مخففة (لَمَا) كقراءة غيرهم، فتكون ﴿إِن﴾ مخفّفة من الثقيلة، أي: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ﴾ لعليها ﴿حَافِظٞ﴾ يحفظها من الآفات، أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها، فإذا استوفى ذلك مات.

وقيل: الحافظ: هو كاتب الأعمال.



﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ ﴾

و﴿ حَافِظٞ ﴾ مبتدأ و﴿ عَلَيۡهَا ﴾ الخبر، والجملة خبر ﴿ كُلُّ ﴾، وأيّتهما كانت (إن) المخففة أو النافية، فالجملة مما يُتلقى به القَسَم.

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ لَمَّا ذكر أنَّ على كلِّ نفسٍ حافظًا أمره بالنَّظر في أوَّل أمره؛ ليعلم أنَّ مَنْ أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل ليوم الجزاء، ولا يُملي على حافظه إلَّا ما يَسُرُّه في عاقبته.

و﴿ مِمَّ خُلِقَ ﴾ استفهام، أي: مِنْ أي شيءٍ خُلِق؟ جوابه: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾ الدَّفْقُ: صَبٌّ فيه دَفعٌ، وعن بعض أهل اللغة: دَفَقْتُ الماءَ دَفقًا: صَبَبْته، ودَفق الماءُ بنفسه؛ أي: انْصبَّ.

ولم يقل: من ماءين؛ لامتزاجهما في الرَّحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ مِنْ بين صُلْب الرَّجل وترائب المرأة، وهي عِظام الصَّدر حيث تكون القلادة، وقيل: العَظْم والعَصَب مِن الرَّجل، واللَّحم والدَّم من المرأة. ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ إنَّ الخالق؛ لدلالة ﴿ خُلِقَ ﴾ عليه، ومعناه: إنَّ الذى خَلَق الإنسان ابتداءً مِنْ نطفة ﴿ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ ﴾ على إعادته خصوصًا ﴿ لَقَادِرٞ ﴾ لبيّنُ القدرة لا يَعجز عنه، كقوله: إنَّني لقادر، ونُصِبَ ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ﴾ برجعه، أي: تُكْشَفَ، أو بمضمر دلَّ عليه قوله ﴿ رَجۡعِهِۦ ﴾: أي: مَبْعَثُه يوم تبلى ﴿ ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ ما أُسِرَّ في القلوب من العقائد والنيّات، وما أُخفي من الأعمال.

﴿ فَمَا لَهُۥ ﴾ فما للإنسان ﴿ مِن قُوَّةٖ ﴾ في نفسه على دَفْع ما حلَّ به ﴿ وَلَا نَاصِرٖ ﴾ يُعينه ويَدْفع عنه.



﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧ ﴾

القسم على صدق القرآن

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ أي: المطر، وسُمِّي به لعوده كُلَّ حين.

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾ هو ما تَتصدَّع عنه الأرض من النبات.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ إنَّ القرآن ﴿ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴾ فاصلٌ بين الحق والباطل، كما قيل له: فُرقان ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾ باللعب والباطل، يعني: أنَّه جَدٌّ كُلُّه، ومن حَقِّه وقد وصفه اللَّه بذلك أنْ يكون مَهيبًا في الصُّدور، مُعظمًا في القلوب، يرتفع به قارئه وسامعه أن يلمَّ بِهَزْلٍ، أو يَتفكَّه بِمُزاحٍ.

﴿ إِنَّهُمۡ ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴾ يعملون المكايد لإبطال أمر اللَّه، وإطفاء نور الحق.

﴿ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾ وأجازيهم جزاءَ كَيْدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون، فسمَّى جزاء الكيد كيدًا؛ كما سَمَّى جزاء الاعتداء اعتداءً وجزاءَ السيئة سيئةً، وإنْ لم يكن اعتداءً وسيئةً، ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على اللَّه تعالى إلا على وجه الجزاء؛ كقوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾(٣).

﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي: لا تَدْعُ بهلاكهم، ولا تستعجل به ﴿ أَمۡهِلۡهُمۡ ﴾ أنْظرهم ﴿ رُوَيۡدَۢا ﴾ إمهالًا يسيرًا، ولا يُتكلم بها إلا مُصغَّرةً، وهي مِنْ رَادَت الرِّيحُ، تَرُود رَوْدًا: تحرَّكت حركةً ضعيفةً.

(١) سورة التوبة . الآية: ٦٧.
(٢) سورة النساء . الآية: ١٤٢.
(٣) سورة البقرة . الآية: ١٥.

من الأسرار البلاغية

- في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ مجاز عقلي، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي، وهنا أسند الدَّفْقَ إلى الماء، والذي يَدْفق الماءَ في الحقيقة هو الرجل، والماء مدفوق لا دافق، والعلاقة هنا المفعولية.

- في قوله تعالى: ﴿ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ طباق؛ حيث طابق بين عَظْم الظهر وعَظْم الصدر.

- المشاكلة في قوله تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾؛ حيث سَمّى جزاء كيدهم ﴿كَيْدًا﴾، والمُشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، أي لمجيئه معه.

- في قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ كرَّر اللفظين وخالف بينهما؛ لزيادة التسكين والتَّصبير، لئلا يستعجل النبي ﷺ العذاب للمشركين.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ كل نفس عليها حافظ، يحفظ أعمالها، ويكتب أقوالها.

٢ـ قدرة اللَّه تعالى على بعث الخلق مرَّةً أخرى.

٣ـ القرآن منزل من عند اللَّه ليفرق بين الحق والباطل.

٤ـ انتقام اللَّه تعالى من الكافرين آت لا محالة، لكنَّ اللَّه يؤخرهم لحكمة يعلمها.

❋ ❋ ❋

الأسئلة

س١ : ما أصل الطارق؟ وما المراد منه هنا؟ ولماذا أقسم اللَّه تعالى بالنجم؟ وما جواب القسم؟.

س٢ : مَن المراد بالحافظ؟ وما معنى ﴿أَمۡهِلۡهُمۡ﴾؟ وما جواب الاستفهام؟ وما معنى ﴿دَافِقٖ﴾؟.

س٣: ما المراد من ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾؟ وما معنى بلائها؟ وما المراد من نفي القوة والناصر؟.

س٤ : ما المراد بالرجع؟ وما معنى ﴿فَصۡلٞ﴾؟ ولمن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمۡ﴾؟ وما كيدهم؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ بـ قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾.

س٦ : اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

* * *



سورة الأعلى

(مكيَّة وهي تسع عشرة آية)

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾

تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ نَزِّه ذاته عن كل ما لا يليق به، و﴿ٱلْأَعْلَى﴾ بمعنى العُلوّ الذي هو القهر والاقتدار، لا بمعنى العُلوِّ في المكان.

وقيل: قُلْ سبحان ربي الأعلى، وفي الحديث لمّا نزلت قال النبي ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»[1].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: ﴿خَلَقَ﴾ كُلَّ شيءٍ ﴿فَسَوَّىٰ﴾ خَلْقه تسويةً ولم يأت به متفاوتًا غير مُلْتئم، ولكنْ خلقه على إحكام واتِّساق، ودلالةٍ على أنَّه صادرٌ عن عالمٍ حكيمٍ، أو: سوَّاه على ما فيه منفعته ومصلحته.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أي: قدَّر لكل مخلوق ما يُصْلِحُه، فهداه إليه وعرَّفه وجه الانتفاع به، أو: ﴿فَهَدَىٰ﴾ وأضل، ولكن حُذف [وأضل] اكتفاءً بـ [هَدَى]، وذلك كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أنبت ما تَرْعاه الدَّواب.

---

(١) رواه أحمد وغيره بسند يحتمل التَّحسين.
(٢) سورة النحل . الآية: ٩٣.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٨﴾﴾

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ يابسًا هشيمًا ﴿أَحۡوَىٰ﴾ أي: أسود، فـ ﴿أَحۡوَىٰ﴾ صفةٌ لقوله ﴿غُثَآءً﴾.

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ سنعلمك القرآن حتى لا تنساه، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يَنْسخه، وهذه بشارةٌ من اللَّه لنبيه ﷺ أنْ يحفظ عليه الوحي؛ حتى لا يَنْفَلت منه شيءٌ؛ إلّا ما شاء اللَّه أن يَنْسَخه، فيذهبَ به عن حفظه برفع حُكمه وتلاوته.

وسأل ابنُ كيسان النَّحوي جُنيدًا عنه فقال: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ العملَ به، فقال: مِثْلُك يُصدَّر.

وقيل: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ على النَّهي، والألف لأجل الفاصلة، كقوله ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾[1] أي: فلا تُغْفل قراءته وتكريره فتنساه، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يُنْسِيَك إيَّاه برفع تِلاوته.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ أي: إنَّك تَجهرُ بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام؛ مخافة التَّفَلُّت، واللَّه يعلم جَهْرك معه، وما في نفسك ممَّا يدعوك إلى الجهر.

أو: يعلم ما تقرأ في نفسك مخافةَ النِّسْيان، أو: يعلم ما أسْرَرْتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم، وما ظهر وما بَطَن من أحوالكم.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه. والمعنى: نُوفقك

---

(١) سورة الأحزاب. الآية: ٦٧.



﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ ﴾

للطَّريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي، أو نوفقك للشَّريعة السَّمْحة التي هي أيسر الشرائع، أو لعمل الجنَّة.

تزكية النفس والعمل للآخرة

﴿ فَذَكِّرۡ ﴾ أي: عِظْ بالقرآن، ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ ﴿ إِن ﴾ شَرْطية، وجوابها محذوف دلَّ عليه الفعل ﴿ فَذَكِّرۡ ﴾، وقيل: ظاهره شرطٌ، ومعناه استبعادٌ لتأثير الذِّكْرى فيهم.

وقيل: هو أمْرٌ بالتَّذكير على الإطلاق ـ كقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾[1] ـ غير مَشْروطٍ بالنَّفع.

﴿ سَيَذَّكَّرُ ﴾ سيتعظ ويقبل التذكرة ﴿مَن يَخۡشَىٰ ﴾ اللَّه وسوء العاقبة. ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾ يتباعد عن الذكرى فلا يقبلها ﴿ٱلۡأَشۡقَى ﴾ الكافر، أو: الذي هو أشقى الكفرة؛ لتوغُّلِه في عداوة رسول اللَّه ﷺ.

﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ يدخل نارَ جهنم، والصغرى: نار الدنيا، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح من العذاب ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾ حياةً يتلذّذ بها.

وقيل: [ثُمَّ] تفيد التَّراخي؛ لأنَّ التأرجح أو التردد بين الحياة والموت أفظع من الصلي، فهو متراخٍ عنه في مراتب الشدة.

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾ نال الفوز ﴿مَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهَّر من الشرك، أو تطهَّر للصَّلاة، أو أدَّى الزكاة، على وزن تَفَعَّل من الزكاة، كتَصَدَّق من الصَّدقة.

---

(١) سورة الغاشية . الآية: ٢١.



﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ وَكَبَّرَ لافتتاح الصلاة ﴿فَصَلَّىٰ﴾ الخَمْس، وبه يُحْتَجُّ على وجوب تكبيرة الافتتاح (الإحرام)، وعلى أنَّها ليست من الصلاة؛ لأنَّ الصلاة عُطفت عليها، والعَطْف يقتضي المُغايرة.

واحْتُج بهذه الآية أيضًا على أنَّ الافتتاح جائزٌ بكل اسم من أسمائه عز وجل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى: ذَكَر معاده ووقوفه بين يدي ربه فصلَّى له.

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ على الآخرة؛ فلا تفعلون ما به تُفلحون، والمُخاطب به الكافرون، يَدُلُّ عليه قراءة أبي عمرو ﴿تُؤۡثِرُونَ﴾ بالياء بدلًا من التَّاء.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أفضلُ في نفسها وأدْوَمُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾، أي: إنَّ معنى هذا الكلام واردٌ في تلك الصُّحُف، ويجوز أنْ يكون إشارةً إلى ما في السورة كُلِّها.

﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدل من ﴿ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾.

من الأسرار البلاغية

ـ حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، ليفيد العموم؛ لأن المراد: خلق كلَّ شيء فسواه، وقدَّر كلَّ شيء فهداه.

ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ طباق.

ـ في قوله تعالى: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ طباق.

ـ في قوله تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ مقابلة.

ما يستفاد من السُّورة:

١ ـ ينبغي على المسلم أن يُنَزِّه اللَّه تعالى عن كل ما لا يليق به.

٢ ـ تتجلَّى عظمة اللَّه تعالى وقدرته في خلقه لهذه المخلوقات بتلك الكيفية البديعة.

٣ ـ هيأ اللَّه تعالى كل مخلوق لما خُلِقَ له في هذا الكون.

٤ ـ وعَدَ اللَّه نبيه ﷺ أنْ يحفظ عليه القرآن فلا ينساه.

٥ ـ الموعظة بالقرآن واجبة، سواء انتُفِع بها أم لا.

٦ ـ ينتفع بالذكرى أهل الإيمان، ويُعْرِض عنها أهل الكفر والجحود.

* * *



الأسئلة

س١: ما معنى ﴿سَبِّحِ﴾؟ ولِمَنْ الخطاب؟ وما مفعول ﴿خَلَقَ﴾؟ وما المراد من ﴿فَسَوَّىٰ﴾؟.

س٢: ما ﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾؟ وما معنى ﴿أَحْوَىٰ﴾؟ وما معنى ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾؟ وما مفعوله الثاني؟ وما المراد بالنسيان؟ وهل الفعل ﴿تَنسَىٰٓ﴾ مرفوع أم مجزوم؟.

س٣: ما المراد باليسرى؟ وما جواب الشرط في ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؟.

س٤: مَنْ المراد بـ ﴿ٱلْأَشْقَى﴾؟ ومعنى ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾؟ وما المراد من التزكي؟ وما مفعول ﴿فَصَلَّىٰ﴾؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾.

س٦: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة الغَاشية

(مكيّة وهي ست وعشرون آية)

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣﴾

من أهوال القيامة وأحوال أهل النار

﴿هَلۡ﴾ بمعنى: قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ الدَّاهية التي تغشى النَّاس بشدائدها وتُلْبسهم أهوالها، يعني: يوم القيامة، وقيل: النَّار، من قوله تعالى: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[1].

﴿وُجُوهٞ﴾ أي: وجوه الكفَّار، وإنَّما خصَّ الوجه؛ لأنَّ الحُزْنَ والسُرورَ إذا استحكما في المرء أثَّرا في وجهه ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ يومَ إذْ غُشِيَت ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلةً؛ لِماَ اعترى أصحابها من الخِزي والهَوان.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ تعمل في النّار عملًا تَتعب فيه، وهو جَرُّها السلاسل والأغلال، وخوضها في النّار كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقاؤها دائبةً في صعودٍ من نار وهبوطها في حُدور منها.

وقيل: عملت في الدنيا أعمال السوء، والتذّت بها وتنعّمت، فهي في نَصَب منها في الآخرة.

وقيل: هم أصحاب الصَّوامع ـ الذين كانوا يتعبدون إلى اللَّه تعالى في أماكنهم الخاصة بهم ـ ومعناه: أنَّها خشعت للَّه، وعَمِلت وتعبت في أعمالها، من الصوم

(١) سورة إبراهيم . الآية: ٥٠.



﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠﴾

الدائب والتهجد الواصب. ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾ تَدخل نارًا قد أُحميت مُددًا طويلة، فلا حَرَّ يَعدِل حَرَّها، ﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ من عينِ ماءٍ قد انتهى حرُّها والتأنيث في هذه الصفات والأفعال راجعٌ إلى الوجوه، والمراد: أصحابها؛ بدليل قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ﴾، وهو نَبْتٌ يقال له، الشِّبرِق إذا كان رَطْبًا، فإذا يبس فهو ضريعٌ، وهو سُمٌّ قاتل.

والعذاب ألوانٌ، والمعذبون طبقاتٌ، فمنهم أَكلة الزَّقوم، ومنهم أَكلة الغِسْلين، ومنهم أَكلة الضَّريع، ولا تناقض بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾[1].

﴿لَّا يُسۡمِنُ﴾ في محل جر؛ لأَنَّه وَصفٌ لـ ﴿ضَرِيعٖ﴾، ﴿وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ أي: منفعتا الغذاء منفيتان عنه، وهما: إماطة الجوع، وإفادة السِّمَن في البدن.

نعيم المؤمنين في الجنة

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ﴾ ثم وصف وجوه المؤمنين، ولم يقل: ووجوه؛ لأَنَّ الكلام الأوَّل قد طال وانقطع، ﴿نَّاعِمَةٞ﴾ متنعمة في لين العيش.

﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾ رضيت بعملها وطاعتها، لَمَّا رأت ما أَدَّاهم إليه ذلك من الكرامة والثواب.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾ من علو المكان أو المقدار.

(١) سورة الحاقة. الآية: ٣٦.

﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ﴾

﴿لَّا تَسۡمَعُ﴾ أيُّها المخاطَب، أو هذه الوجوه ﴿فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ أي: لغوًا، أو: كلمةً ذاتَ لغو، أو: نفسًا تلغو، لا يتكلَّم أهل الجنَّة إلا بالحكمة وحَمْد اللَّه على ما رزقهم من النَّعيم الدائم.

﴿فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ﴾ أي: عيونٌ كثيرةٌ.

﴿فِيهَا سُرُرٞ﴾ جمع سرير ﴿مَّرۡفُوعَةٞ﴾ مِنْ رِفعة المقدار، أو المكان؛ ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما أعطاه ربُّه من الملك والنَّعيم. ﴿وَأَكۡوَابٞ﴾ جمع كُوب، وهو القَدَح، وقيل: آنية لا عُرْوة[1] لها.

﴿مَّوۡضُوعَةٞ﴾ بين أيديهم؛ ليتلذَّذوا بالنَّظر إليها، أو: موضوعةٌ على حافّات العيون، مُعدَّة للشرب.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد مفردها: نَمْرَقة ﴿مَصۡفُوفَةٞ﴾ بعضُها إلى جنب بعض، مَساندُ ومَطارحُ، أينما أراد أن يجلس جَلس على واحدة، واستند إلى الأخرى.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ وبُسُط عِراضٌ فاخرةٌ، جمع: زِرْبيَّة ﴿مَبۡثُوثَةٌ﴾ مبسوطة، أو: مفرَّقة في المجالس.

من مظاهر قدرة اللّه تعالى

ولمَّا أنزل اللَّه تعالى هذه الآيات في صفة الجنة، أنكر الكفار ذلك واستبعدوه لكونهم لم يشاهدوا شيئًا منه في الدنيا! فقال اللَّه تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ﴾

---

(١) العروة من الدلو والكوز ونحوه هي المَقْبِض تاج العروس مادة عرو ٣٩/ ٢٥.

﴿كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾

﴿كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ طويلة، ثم تبرك حتَّى تُرْكب، ويُحمل عليها، ثُمَّ تقوم، فكذا السَّرير يُطأطئ للمؤمن كما تطأطئ الإبل.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾ رفعًا بعيد المدى بلا إمساكٍ وعَمَدٍ، ونُجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخَلْق، فكذلك أكواب الجنَّة.

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾ نَصْبًا ثابتًا، فهي راسخة لا تميل مع طولها، فكذلك النَّمارق.

﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ سَطْحًا بتمهيد وتوطئة، فهي كلُّها بِساطٌ واحدٌ ينبسط من الأُفق إلى الأفق، فكذا الزرابيُّ، ويجوز أن يكون المعنى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق؛ حتى لا ينكروا اقتداره على البعث، فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ، ويؤمنوا به، وَيَسْتَعِدُّوا للقائه تعالى.

وتخصيص هذه الأربعة بالذِّكر؛ لأنَّ هذا خطابٌ للعرب وحثٌّ لهم على الاستدلال، والمرء إنَّما يَستدل بما تَكثُر مشاهدته له، والعرب تكون في البوادي، ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال، والإبل أعزُّ أموالهم، وهم أكثر استعمالًا لها من سائر الحيوانات؛ ولأنَّها تجمع جميع الحاجات المطلوبة من الحيوان، وهي النّسل، والدَّرُ، والحملُ، والركوب، والأكل، بخلاف غيرها.

﴿فَذَكِّرۡ﴾ فذكرهم بالأدلة ليتفكروا فيها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ ليس عليك إلا التبليغ.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ بِمُسَلَّطٍ، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[1].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ الاستثناء منقطعٌ.

أي: لست بمُسْتَولٍ عليهم، ولكن من تولَّى منهم، وكفر باللَّه؛ فإنَّ لله الولاية عليه والقهر، فهو يُعذِّبه العذاب الأكبر، وهو عذاب جهنَّم.

وقيل: هو استثناءٌ متصلٌ من مفعول ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فذَكِّر ... إلا من انقطع طمَعُك من إيمانه و﴿تَوَلَّىٰ﴾ فاستحق ﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾، وما بينهما كلامٌ معترض.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ قدَّم الجار والمجرور ﴿إِلَيْنَآ﴾؛ ليفيد التشديد في الوعيد، وأنَّ رجوعهم ليس لأحد إلَّا إلى الجبار المقتدر على الانتقام منهم.

ـ قدَّم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾؛ لتأكيد الوعيد، لا لتأكيد الوجوب، فاللَّه تعالى لا يجب عليه شيء.

---

(١) سورة ق . الآية: ٤٥.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ أعدَّ اللَّه تعالى لأهل الجنة من ألوان النَّعيم ما تسعد به نفوسهم.

٢ ـ يشقى أهل الكفر يوم القيامة بكفرهم، ويكونون في ذلة وهوان بسببه.

٣ ـ في الكون آيات عظيمة تدل على قدرة اللَّه وبديع صُنعه.

٤ ـ ينبغي على المرء أن يتأمل في آيات اللَّه المنظورة، ويتفكر في الكون من حوله.

٥ ـ ليس على رسول اللَّه ﷺ إلا تبليغ الرسالة للناس، أما هدايتهم للحق فلا يملكها إلا اللَّه.

٦ ـ لابدَّ لهذه الحياة من نهاية يحاسبُ اللَّهُ فيها عباده على مَا قدّموه.

❊ ❊ ❊



الأسئلة

س١: ما معنى ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾؟ وما المراد بـ ﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾؟ وما معنى خشوع الوجوه يوم القيامة؟ ومَنْ أصحاب هذه الوجوه؟.

س٢: ما معنى ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾؟ وما معنى ﴿تَصْلَىٰ﴾؟ وما المراد بـ ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾؟ وما الضريع؟ ولِمَ نفى السمن والإغناء من الجوع؟ ومن أصحاب الوجوه الناعمة؟.

س٣: ما إعراب ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾؟ ولمنْ الضمير في ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿لَٰغِيَةً﴾؟ وما الفرق بين النمارق والزرابيّ؟ ومصفوفة ومبثوثة؟.

س٤: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾؟ وعلام عطفت الفاء؟ وما وجه تخصيص هذه الأشياء الأربعة بالذكر؟ وما الإياب؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾.

(ب) ﴿عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة الفجر

(مكيّة وهي: ثلاثون آية)

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾

عذاب الكفار وجزاء بعضهم في الدنيا

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم بالفجر، وهو وقت الصبح، كقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[1]، أو: بصلاة الفجر. ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي الحجة؛ أو: العشر الأُول من المُحرَّم، أو: الأواخر من رمضان.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ شَفْعُ كُلِّ الأشياء ووترها، أو: شفعُ هذه الليالي ووَتْرها، أو: شفعُ الصلاة ووَتْرها، أو: يوم النَّحر؛ لأَنَّه اليوم العاشر، ويوم عرفة؛ لأَنَّه التاسع، أو الخَلْق والخالق.

وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ﴾ وقيل: أُريد ليلة القدر ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ إذا يمضي ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي فيما أقسَمتُ به من هذه الأشياء ﴿قَسَمٌ﴾ أي مُقْسمٌ به ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ عقل؟ سُمِّي العقل به؛ لأَنَّه يَحجُر (يمنع) عن السُّقوط فيما لا ينبغي، كما سُمِّي عقلًا ونُهْيَةً؛ لأنه يعقِل وينهى، يريد: هل تحقق عنده أن تُعظَّم هذه الأشياء بالإقسام بها؟ أو ﴿هَلْ فِي﴾ إقسامي بها إقسامٌ ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ أي: هل هو قسمٌ عظيمٌ يؤكَّد بمثله المقسَم عليه؟ أو: هل في القسم بهذه الأشياء قسم مقنع لذي عقل ولب؟ والمقسم

---

(١) سورة المدثر . الآية: ٣٤.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ﴾

عليه محذوف، تقديره: ليُعذِّبُنَّ، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

ثم ذكر تعذيب الأمم التي كذبت الرسل فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: ألم تعلم يا محمد عِلْمًا يوازي اليقين؟

وعادٌ هم بنو عاد بن عوص بن إِرَم بن سام بن نوح، ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى، و(إرم) تسمية لهم باسم جَدهم، وقيل لمَنْ بعدهم: عادٌ الأخيرة، فـ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لـ﴿عَادٍ﴾، وقيل: إرم: بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها، و﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى: أنهم كانوا بدويين أهلَ عُمُد، أو: طوال الأجسام، على تشبيهها بالأعمدة، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى: أنها ذات أساطين؟

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ أي مثلُ عادٍ في قوتهم، وطول قامتهم، أو لم يُخلق مثلُ مدينة شدّاد، وشدّاد هذا هو من عاد على مارُوي، والأولى أن تحذف ويقال: ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ في جميع بلاد الدنيا ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ﴾ نحتوا صخر الجبال، واتخذوا فيها بيوتًا، قيل: أول مَنْ نحت الجبال والصخور ثمود، ﴿بِالْوَادِ﴾ بوادي القُرى.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ أي ذي الجنود الكثيرة، وقيل: كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية ﴿الَّذِينَ﴾ في محل النَّصب على الذَّم، أو الرَّفع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هُم ﴿الَّذِينَ﴾، أو الجرُّ على أنَّه صفة للمذكورين عاد وثمود

﴿طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾

وفرعون ﴿طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ تجاوزوا الحدَّ ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ بالكفر والقتل والظلم ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي: عُذِّبوا عذابًا مؤلمًا دائمًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ وهو المكان الذي يُنْتظر فيه الرَّصْد، وهذا مثلٌ لإرصاده العباد، وأنَّهم لا يفوتونه، وأنَّه عالمٌ بما يَصدرُ منهم، فيجازيهم عليه إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

قلة اهتمام الإنسان بالآخرة

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ أي: ضيَّق عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ أي: الواجب لمن رَبُّه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة، ولا تهمُّه العاجلة، وهو قد عكس فإنَّه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ أي: فضَّلني بما أعطاني، فيرى الإكرام في كثرة الحظ من الدنيا، وإذا امتحنه بالفقر فضيَّق عليه رزقه ليصبر قال: ﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾ فيرى الإهانة في قلة الحظ من الدنيا؛ لأنَّه لا تهمُّه إلا العاجلة.

فردَّ عليه زعمه بقوله: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الإكرام والإهانة في كثرة المال وقلته، بل الإكرام في توفيق الطاعة، والإهانة في الخذلان.

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: بل هناك شر من هذا القول، وهو أنَّ اللَّه يكرمهم بالغنى، فلا يُؤدُّون ما يلزمهم فيه من

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

إكرام اليتيم بالمبرَّة وَحَضِّ أهله على طعام المسكين ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ أي: الميراث ﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ ذا لَمٍّ، وهو الجمع بين الحلال والحرام، وكانوا لا يُوَرِّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون ميراثهم مع ميراثهم. ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي: كثيرًا شديدًا مع الحرص ومنع الحقوق.

حال الإنسان يوم القيامة

﴿ كَلَّآ ﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم، ثم أتى بالوعيد وذكر تحسُّرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة، فقال: ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ إذا زلزلت ﴿ دَكًّا دَكًّا ﴾ دكا بعد دك، أي: كرَّر عليها الدَّك حتى عادت هباء مُنبثًا.

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ تمثيل لظهور آيات اقتداره، وتبيين آثار قهره وسلطانه، فإنَّ واحدًا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه، وعن ابن عباس: جاء أمره وقضاؤه. ﴿ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي: ينزل ملائكة كل سماء فيصطفُّون صفًّا بعد صف. ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ يُؤتى بجهنَّم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي: يتعظ ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ ومن أين له منفعة الذكرى ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ يريد الآخرة، أي: يا ليتني قدمت الأعمال الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ أي:

﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾

لا يتولى عذاب اللَّه لأهل النار أحد؛ لأنَّ الأمر للَّه وحده في ذلك اليوم. ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بالسلاسل والأغلال ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي: لا يُعذِّب أحدٌ أحدًا كعذاب اللَّه، ولا يُوثِق أحدٌ أحدًا كوثاق اللَّه، والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر، ثم يقول اللَّه تعالى للمؤمن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ﴾ إكرامًا له، أو يقوله على لسان ملك ﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة، أو المطمئنة إلى الحق، وإنما يُقال لها ذلك عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ﴾ موعد ﴿رَبِّكِ﴾ أو ثواب ربك ﴿رَاضِيَةً﴾ من اللَّه بما أُعطيت ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ عند اللَّه بما عملت ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ في جملة عبادي الصالحين ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

من الأسرار البلاغية:

ـ التنكير في قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ﴾؛ لبيان زيادة فضيلتها.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ أسند السَّرى ـ بمعنى السير ـ إلى الليل مجازًا؛ لأنَّ الليل لا يَسْرِي، وإنَّما يُسرى فيه، كما يقال: ليلٌ نائم، أي: يُنام فيه.

ـ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ للتَّقرير.

ـ في قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ مجازٌ عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ وجه؛ إذ الصَّبُّ يُشعر بالدَّوام، والسَّوطُ بزيادة الإيلام.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ حتمية عذاب الكفار، فقد أقسم اللَّه تعالى بالفجر، وبالليالي العشر من ذي الحجة، وبالشفع والوتر على أنَّه ليُعذِّبنَّ الكفار.

٢ ـ الكرامة عند اللَّه والهوان ليس بكثرة الحظ في الدنيا وقلته، وإنَّما الكرامة عنده أن يكرم اللهُ العبد بطاعته وتوفيقه، المؤدي إلى حظ الآخرة، وإن وسّع عليه في الدنيا حمده وشكره.

٣ ـ ذمُّ إهانة اليتيم ومنعه من الميراث، وأكل ماله، وعدم الحض على إطعام المسكين، ومحبة المال حبًّا كثيرًا.

٤ ـ يتعظ الكافر يوم القيامة ويتوب، ولكن من أين له الانتفاع بالاتعاظ وقد فرط فيها في الدنيا.

٥ ـ السلطان المطلق في الحساب والجزاء للَّه وحده، ولا يخرج أحد عن قبضة اللَّه وسلطانه.

٦ ـ النفس المطمئنة بالإيمان والعمل الصالح يُقال لها: ارجعي إلى رضوان ربّك وجنته، راضية بما أعطاك اللَّهُ من النعم، مرضية عند اللَّهِ بما قدمت من عمل.



الأسئلة

س١: ما المراد بالفجر؟ وما المراد من الليالي؟ ولِمَ نُكِّرت؟ وما المراد بالشفع والوتر؟.

س٢: ما معنى ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾؟ وما هو الحِجْر؟ وما جواب القسم؟ وما المراد من الرؤية في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾؟وما نوع الاستفهام فيه؟.

س٣: ما معنى ﴿جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ﴾؟ وما المراد بالوادي والأوتاد؟ وما معنى السوط؟.

س٤: ما المرصاد؟ وما المراد بدك الأرض؟ وما المراد بالحياة في قوله تعالى: ﴿لِحَيَاتِي﴾؟ وما المراد بالنفس؟ وما معنى المطمئنة؟ ومتى يقال لها ذلك؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾. ـ قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

***



سورة البلد

(مكية وهي: عشرون آية)

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥﴾

ابتلاء الإنسان بالتعب واغتراره بقوته وماله

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أنَّ الإنسان خُلق مغمورًا في شدة وعناء من مكابدة الدنيا؛ واعترض بين القسم والمُقسَم عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي:

وأنت أيها الرسول ﷺ ﴿حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يعني: مكة في المستقبل، والآية تشير إلى المكانة العالية للنبي ﷺ وأن مكانته أعظم حتى من البلد الحرام لأنها مع كونها كذلك أحلها الله له. ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ هما آدم وولده، أو كل والد وولده، أو إبراهيم وولده، ﴿وَمَا﴾ بمعنى مَنْ، أو بمعنى الذي ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ جواب القسم ﴿فِي كَبَدٍ﴾ مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، والضمير في قوله: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ لبعض صناديد قريش الذين كان رسول اللَّه ﷺ يكابد منهم ما يكابد، والمعنى: أيظنُّ هؤلاء الصناديد الأقوياء في قومهم المستضعفين للمؤمنين أن لن تقوم قيامتهم، ولن يُقدر على الانتقام منهم؟، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم، وأنَّه

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيرًا، جمع لبْدة، وهو ما تلبّد، أي: كثر واجتمع، يريد: كَثْرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالي ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ حين كان ينفق ما ينفق رياءً وافتخارًا، يعني: أنَّ اللَّه تعالى كان يراه، وكان عليه رقيبًا.

طريق النجاة في الآخرة

ثم ذكر نعمه عليه، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما المرئيات ﴿وَلِسَانًا﴾ يعبِّر به عمَّا في قلبه ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما فمه، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ طريقي الخير والشر المؤديين إلى الجنة والنار.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ يعني: فلم يشكر تلك النعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب، أو إطعام اليتامى والمساكين، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة، وأساس كل خير بل جَحَدَ النعم وكَفَرَ بالمنعِم، والمعنى: أنَّ الإنفاق على هذا الوجه مَرْضِيٌّ نافع عند اللَّه، لا أن يُهلك ماله لبدًا في الرياء



﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴾

والفخار، وقلّما تستعمل (لا) مع الماضي إلا مكررة، وإنّما لم تُكرَّر في الكلام الأفصح؛ لأنّه لمّا فسَّر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنَّه أعاد (لا) ثلاث مرات، وتقديره: فلا فك رقبة، ولا أطعم مسكينًا، ولا آمن، والاقتحام: الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة، والقُحْمَة: الشدة.

والمراد بقوله تعالى: ﴿مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ ما اقتحامها، ومعناه: أنّك لم تدرك صعوبتها على النفس، وحقيقة ثوابها عند اللّه، وفكّ الرقبة: تخليصها من الرق، والإعانة في مال الكتابة، والمسغبة: المجاعة، مِنْ سغب إذا جاع، والمتربة: الفقر، مِنْ تَرِب إذا افتقر، ومعناه: التصق بالتراب، كناية عن الفقر.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ عن المعاصي، وعلى الطاعات، والمحن التي يُبتلى بها المؤمن ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ بالتراحم فيما بينهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أي: الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالقرآن أو بدلائلنا ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ أصحاب الشمال ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ أي: مطبقة من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته، واللّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ استفهام إنكاري للتوبيخ.

ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾ استعارة تبعية لهذا العمل الشاق على النفس، مِنْ حيث هو بذل مال، تشبيهٌ بعقبة الجبل: وهو ما صعب منه، أي أن العقبة: الطريق الوعر في الجبل، استعير للأعمال الصالحة ذات المشقة.

ـ في قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ استعارة، استعار النجدين لطريقي الخير والشر أو السعادة والشقاوة، وأصل النَّجْد: الطريق المرتفع.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ القسم بالبلد الحرام ـ مكة ـ، وبالوالد والمولود ـ كآدم وذريته، وكل أب وولده ـ على أنَّ الإنسان خُلق مغمورًا في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.

٢ ـ توبيخ الإنسان على بعض الأفكار والأعمال، كظنه ألا قدرة لأحد عليه، وإنفاقه المال الكثير مراءاة، وجهله بأنَّ اللَّه عالم به مطلع على جميع أقواله وأفعاله.

٣ ـ تذكير الإنسان بنعم اللَّهِ عليه مِنْ البصر والنطق والجمال والعقل والفكر المميِّز بين الحق والباطل، وبيان طريقي الخير والشر. وهذه النعم تقتضي الشكر عليها.

٤ ـ النجاة في الآخرة بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالصبر والتراحم.





الأسئلة

س١ : ما المراد بالبلد؟ ومَنْ المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ﴾؟ ومَنْ المراد بالوالد وما ولد؟ وما جواب القسم؟

س٢ : مَنْ المراد بالإنسان؟ وما معنى الكبد؟ ولمَنْ الضمير في ﴿أَيَحۡسَبُ﴾؟.

س٣: ما معنى ﴿لُّبَدًا﴾؟ وما المراد بالنجدين؟ وما ﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾؟.

س٤ : بم يكون فك الرقبة؟ وما المراد من ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾؟ وما معنى ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾؟

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾.

س٦ : اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊



سورة الشمس

(مكية وهي: خمس عشرة آية)

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾

جزاء إصلاح النفس وإهمالها

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أي: وضوئها إذا أشرقت ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي: تبعها في الضياء والنور ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أي: جلّى الشمس وأظهرها للرائين، وذلك عند انتشار النهار وانبساطه؛ لأنَّ الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي: يستر الشمس فتظلم الآفاق، والواو الأولى للقسم بالاتفاق، وكذا الثانية عند البعض، وعند الخليل: الثانية للعطف؛ لأنَّ إدخال القسم على القسم قبل مجيء الجواب لا يجوز، واحتجَّ مَنْ قال إنَّها للقسم بأنَّ كونها للعطف يحتاج إلى تأويل.

و﴿مَا﴾ وما دخلت عليه في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ في تأويل مصدر عند البعض، أي: وبنائها، وطَحْوِها ـ أي: بَسْطِها ـ وتسوية خلقها في أحسن صورة، ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، وإنَّما أُوثرت (ما) على (مَنْ)؛ لإرادة معنى الوصفية، كأنَّه قيل: ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ والقادر العظيم الذي بناها، ﴿وَنَفْسٍ﴾ والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، وإنَّما نُكِّرت ﴿وَنَفْسٍ﴾؛ للتكثير، كما في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾[1]، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ فأعلمها طاعتها ومعصيتها، أي: أفهمها أنَّ أحدهما حسن،

(١) سورة الإنفطار. الآية: ٥.



﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۞١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۞١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۞١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۞١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۞١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾

والآخر قبيح ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ جواب القسم، والتقدير: لقد أفلح، قال الزَّجَّاج: صار طول الكلام عِوَضًا عن اللام، والأظهر أنَّ الجواب محذوف، وتقديره: ليُدمدِمنَّ اللَّه عليهم، أي: على أهل مكة، لتكذيبهم رسولَ اللَّه ﷺ كما دمدم على ثمود؛ لأنَّهم كذبوا صالحًا، وأمَّا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾، على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء.

﴿مَن زَكَّىٰهَا ﴾ أي: طهّرها اللَّه وأصلحها وجعلها زاكية ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أي: أغواها اللَّه، قال عكرمة: أفلحت نفس زكّاها اللَّه، وخابت نفس أغواها اللَّه، ويجوز أن يكون التطهير والتدسية فِعْلَ العبد.

العظة بقصة ثمود

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ أي: بطغيانها؛ إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ ﴾ حين قام بِعقْر الناقة ﴿أَشْقَىٰهَا ﴾ أشقى ثمود ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾ نُصب على التحذير؛ أي: احذروا عَقْرها ﴿ وَسُقْيَٰهَا ﴾ كقولك: الأسدَ الأسدَ ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ فيما حذَّرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا ﴿فَعَقَرُوهَا ﴾ أي: الناقة، أُسند الفعل إليهم، وإن كان العاقر واحدًا؛ لرضاهم به. ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ أهلكهم هلاك استئصال ﴿بِذَنۢبِهِمْ ﴾ بسبب ذنبهم، وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ فسوَّى الدَّمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾

ولا يخاف اللَّه عاقبة هذه الفعلة أي: فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد كما يخاف مَنْ يُعاقب من الملوك.

من الأسرار البلاغية:

- بين ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾، و﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، و﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ طباق.

- بين قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾، وكذا بين ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ مقابلة.

- الإضافة في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ للتكريم والتشريف.

- في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أَسند العَقْرَ إلى الكل وأراد الجزء.

- في قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ تهويل، فالتعبير بالدمدمة يدل على هول العذاب.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ ـ القسم بهذه المخلوقات لما فيها من عجائب الصنعة الدالة على الخالق.

٢ ـ قد أفلح وفاز مَنْ زكى نفسه بالطاعة، وخسرت نفس أهملها صاحبها وتركها تنغمس في المعصية.

٣ ـ أهلك اللَّه ثمود هلاك استئصال بسبب تكذيبهم رسولهم.





الأسئلة

س١: ما المراد بضحاها؟ وما معنى ﴿تَلَىٰهَا﴾؟ وما مرجع الضمير المنصوب في جلَّاها؟ وما معنى يغشاها؟.

س٢: هل الواو الثانية في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ للقسم أو للعطف؟ وهل ﴿وَمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ مصدرية أم موصولة؟.

س٣: ما وجه تنكير ﴿وَنَفۡسٍ﴾؟ وما معنى ﴿فَأَلۡهَمَهَا﴾؟ وما موقع جملة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ من الإعراب؟ ولمن ضمير الفاعل والمفعول في ﴿زَكَّىٰهَا﴾ و﴿دَسَّىٰهَا﴾؟

س٤: ما المراد ﴿بِطَغۡوَىٰهَآ﴾؟ وما معنى الباء فيه؟ ومن المراد بـ رسول اللَّه؟ وما معنى الباء في ﴿بِذَنۢبِهِمۡ﴾، وما ذنبهم؟ وما معنى ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة الليل

(مكية وهي: إحدى وعشرون آية)

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾﴾

اختلاف مَسْعَى الناس

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ أي: يغطِّي كلَّ شيء بظلامه. ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: ظهر بزوال ظلمة الليل.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ أي: والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد، وجواب القسم: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ أي: إنَّ عملكم لمختلف.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ حقوق ماله ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ربَّه، فاجتنب محارمه ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: بالملة، الحسنى، وهي ملة الإسلام، أو بالمثوبة الحسنى، وهى الجنة، أو بالكلمة الحسنى، وهي لا إله إلا اللَّه ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ فسنهيئه للخِصْلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه ربه.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بماله ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ عن ربه، فلم يتقه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ بالإسلام أو الجنة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ فسنهيئه للخصلة المؤدية إلى النار، فتكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشد، وسمَّى طريقة الخير باليسرى؛



﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ﴾

لأنَّ عاقبتها اليسرى، وطريقة الشر بالعسرى؛ لأنَّ عاقبتها العسر، أو أراد بهما طريقي الجنة والنار.

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ أي: لم ينفعه ماله إذا هلك، وتردّى: تفعّل مِنْ الردى وهو الهلاك، أو تردّى في القبر، أوفى قعر جهنم، أي: سقط.

قد أعذر مَنْ أنذر

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ إنَّ علينا الإرشاد إلى الحق بإظهار الدلائل وبيان الشرائع ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ فلا يضرنا ضلال مَنْ ضل، ولا ينفعنا اهتداء مَنْ اهتدى، أو أنَّ الآخرة والأولى لنا، فمَنْ طلبهما من غيرنا، فقد أخطأ الطريق ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ ﴾ خَوّفتكم ﴿ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ تتلهّب ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ ﴾ لا يدخلها للخلود فيها. ﴿ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ إلا الكافر الذي كذب الرسل وأعرض عن الإيمان ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ﴾ وسيبعد منها ﴿ ٱلْأَتْقَى ﴾ المؤمن ﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ ﴾ للفقراء ﴿ يَتَزَكَّىٰ ﴾ من الزكاة أي: يطلب أن يكون عند اللَّه زاكيًا، لا يريد بعمله رياء ولا سمعة.

قال أبو عبيدة: الأشقى بمعنى الشقي وهو الكافر، والأتقى بمعنى التقي وهو المؤمن، وقيل: الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، وقيل: هما أبو جهل وأبو بكر. ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ﴾ أي: وما لأحد عند اللَّه نعمة يُجازيه بها إلا أن يفعل فعلًا يبتغى به

وجهه فيجازيه عليه ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ هو الرفيع بسلطانه، المنيع في شأنه وبرهانه، ولم يُرد به العلو من حيث المكان.

﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ وعدٌ بالثواب الذي يرضيه، ويُقرّ عينه، وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[1].

من الأسرار البلاغية:

ـ بين ﴿ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، و(اليسرى والعسرى) و(صَدَّقَ وكذَّبَ) طباق، وهو من المحسنات البديعية التي تبرز المعنى وتوضحه.

ـ بين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾ ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ مقابلة، وهي من المحسِّنات البديعية التي تبرز المعنى وتوضحه.

ـ حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾؛ لإفادة التعميم.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ القسم بالليل حينما يغطّي كلَّ شيء بظلامه، وبالنهار إذا انكشف ووضح وظهر، وبالذي خلق الذكر والأنثى، على أنَّ عمل الناس مختلف في الجزاء، فبعضهم مؤمن وبَرٌّ، وكافر وفاجر، ومطيع وعاص.

٢ ـ مَنْ بذل ماله في سبيل اللَّه، وأعطى حق اللَّه عليه، واتقى المحارم والمنكرات، فاللهُ يهيئ له الطريق اليسرى السهلة للوصول إلى غايته، ويرشده لأسباب الخير والصلاح، حتى يسهل عليه فعلها.

(١) سورة الضحى . الآية: ٥.



٣ ـ مَنْ بخل بما عنده، فلم يبذل خيرًا، فاللَّه يسهل طريقه للشر، ويعسّر عليه أسباب الخير والصلاح، حتى يصعب عليه فعلها.

* * *

الأسئلة

س١: ما معنى كل من: ﴿يَغْشَىٰ﴾ ـ ﴿تَجَلَّىٰ﴾ ـ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾؟.

س٢: ما جواب القسم؟ وما معنى ﴿لَشَتَّىٰ﴾؟.

س٣: وما المراد ﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾، و﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾، و﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾؟ وما معنى ﴿تَرَدَّىٰٓ﴾، و ﴿تَلَظَّىٰ﴾؟.

س٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

(ب) حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾.

س٥: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة الضحى
(مكية وهي: إحدى عشرة آية)

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰ ۝٥﴾

من نعم الله تعالى على نبيه ﷺ

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ المراد به: وقت الضحى، وهو أول النهار حين ترتفع الشمس، أو المراد بالضحى: النهار كله؛ لمقابلته بالليل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ سكن، والمراد سكون الناس والأصوات فيه، وجواب القسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما تركك منذ اختارك، وما أبغضك منذ أحبك، والتوديع مبالغة في الوداع؛ لأنَّ مَنْ ودَّعك مفارقًا، فقد بالغ في تركك. رُوي أنَّ الوحي تأخر عن رسول اللَّه ﷺ أيامًا، فقال المشركون: إنَّ محمدًا ودَّعه ربه وقلاه، فنزلت[1]، وحَذْف الضمير من ﴿قَلَىٰ﴾ وتقديره: وما قلاك، ونحوه: ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾، ﴿فَهَدَىٰ﴾، ﴿فَأَغۡنَىٰ﴾ وتقديره: (فآواك) و(فهداك) و(فأغناك)، وهو اختصار لفظي؛ لظهور المحذوف.

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: ما أعدَّ اللَّه لك في الآخرة من المقام المحمود، والحوض المورود، والخير الموعود خيرٌ ممَّا أعجبك في الدنيا. ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾، ثم عدَّد عليه نعمه من أول حاله؛ ليقيس المنتظَر من فضل اللَّه على ما سبق منه؛ لئلا يتوقع إلا

(١) أخرجه البخاري ومسلم.



﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾

الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره، فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا﴾ وجد هنا بمعنى علم، والكاف، ويتيمًا منصوبان على أنَّهما مفعولاه، والمعنى: ألم تكن يتيمًا حين مات أبواك ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ أي: فآواك إلى عمك أبي طالب وضمك إليه حتى كفلك وربَّاك ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا﴾ أي: غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة ﴿فَهَدَىٰ﴾ فعرَّفك الشرائع والقرآن، وقيل: ضلَّ في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فردَّه إلى القافلة، ولا يجوز أن يُفهم به عدول عن حق ووقوع في غيّ، فقد كان ﷺ من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصومًا من عبادة الأوثان، وقاذورات أهل الفسق والعصيان. ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا﴾ فقيرًا ﴿فَأَغۡنَىٰ﴾ فأغناك بمال خديجة، أو بما أفاء عليك من الغنائم ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ فلا تظلمه لضعفه، بل أحسن إليه، وتلطف به. ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ فلا تزجره، بل أجبه أورُدَّ عليه ردًّا جميلًا. ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ أي: حدِّث بجميع نعم ربك عليك وخاصة نعمة النبوة والقرآن، واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ﴾، و﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ بينهما طباق؛ أي: بين الآخرة والدنيا.

- بين قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾ مقابلة وبين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ القسم بالضحى ـ أي بالنهار ـ وبالليل إذا سكن، على أنَّ اللَّه ما ترك نبيه ﷺ وما أبغضه منذ أحبه.

٢ ـ تبشير اللَّه نبيه ﷺ ببشارتين عظيمتين:

الأولى: جَعْل أحواله الآتية خيرًا له من الماضية.

والثانية: سيعطيه غاية ما يتمناه ويرتضيه في الدنيا بالنصر والتفوق وغلبة دينه على الأديان كلها، وفي الآخرة بالثواب والحوض والشفاعة.

٣ ـ تعديد نعم اللَّه ومننه على نبيه ﷺ، وذكر منها في السورة: الإيواء بعد اليُتْم، والهدى بعد عدم العلم، والإغناء بعد الفقر.

٤ ـ أمر اللَّه نبيه ﷺ بأن يتعامل مع الخلق مثل معاملة اللَّهِ له.

* * *



الأسئلة

س١ : ما المراد بالضحى؟ وما معنى ﴿سَجَىٰ﴾؟ وما وجه إسناد هذا الوصف لليل؟ وما جواب القسم؟.

س٢ : ما معنى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾؟ وما سبب نزول هذه الآية؟.

س٣: ما المراد من ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾؟ وما مفعولاه؟ وما معنى ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾؟ وما مفعوله؟ ولِمَ حُذف؟.

س٤ : ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾؟ وما معنى ﴿عَآئِلًا﴾؟ وما المراد بالسائل؟.

س٥ : وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

(ب) بين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

س٦ : اذكر ما يُستفاد من السورة.

***



سورة الشرح
(مكية وهي: ثمان آيات)

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

من نعم اللّه تعالى على نبيه ﷺ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: فسّحْناهُ بما أودعنا فيه من الحكمة والإيمان والنبوة، وأزلنا عنه ضيق الجهل حتى وَسِع هموم النبوة، ودعوة الجن والإنس. ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: وخفَّفنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها، والوِزْر: الحِمْل الثقيل. ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: أثقله حتى سُمِع له نقيض، أي صوت. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفع اللَّه ذكره؛ حيث قرن اسمه ﷺ باسمه تعالى في كلمة الشهادة، والأذان، والإقامة، والخطب، والتشهد، وفي تسميته رسول اللَّه، ونبي اللَّه ﷺ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: إنَّ مع الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرًا بنصري إياك عليهم حتى تغلبهم.

ثم قال: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: فلا تيأس من فضل اللَّه، فإنَّ مع العسر الذي أنتم فيه يسرًا، وجيء بلفظ ﴿مَعَ﴾ للإشعار بمقاربة اليسر العسرُ؛ كأنَّه جاء معه؛ زيادة في التسلية، ولتقوية القلوب، وإنَّما جاء في الأثر: «لن يغلب عسر يسرين»[1]؛ لأنَّ العسر أُعيد مُعرَّفًا فكان واحدًا؛ لأنَّ المعرفة إذا أُعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى، واليسر أُعيد نكرة، والنكرة إذا أُعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى، فصار المعنى: إنَّ مع العسر يسرين.

(١) رواه الحاكم فى المستدرك، كتاب التفسير عن الحسن البصرى مرسلاً.



﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ أي: فإذا فرغت من أداء الرسالة، ودعوة الخلق فاجتهد في العبادة. ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ أي: واجعل رغبتك إلى اللَّه وحده، وتضرع إليه، ولا تطلب ثواب عملك إلا منه، وعلى اللَّه فليتوكل المؤمنون.

من الأسرار البلاغية:

ـ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ استفهام تقريري للتذكير بنعم اللَّه، أي: قد شرحنا لك صدرك.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ استعارة تمثيلية، شبّه أعباء النبوة بِحِمْل ثقيل يُرهق كاهل حامله، بطريق التمثيل.

ـ تنكير اليسر في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ للتعظيم والتفخيم، كأنه قال: يسرًا عظيمًا.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ من نعم اللَّهِ على نبيه ﷺ أن: شرح صدره، وحط عنه وزره، ورفع ذِكْرَه.

٢ ـ جعل اللهُ تيسيرا ورحمة على العباد يسرين مع كل عسر.

٣ ـ الحثّ على المواظبة على العمل الصالح، والإقبال على فعله.

٤ ـ التوكل على اللَّه وحده، والرغبة إليه والتضرع لوجهه الكريم.

* * *

الأسئلة

س١: ما نوع الاستفهام في ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾؟ وما المراد بالشرح؟.

س٢: ما المراد بالوزر؟ وما معنى ﴿أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾؟.

س٣: بماذا رفع اللَّه ذكر نبيه ﷺ؟ ولم جيء بلفظ ﴿مَعَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾؟.

س٤: ما المراد بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾؟

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) تنكير اليسر في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾.

(ب) قوله: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

***



سورة التين

(مكية وهي: ثمان آيات)

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾

حال الإنسان خلقًا وعملًا

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ أقسم بهما؛ لأنَّهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو تينكم هذا وزيتونكم هذا. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أضيف الطور، ـ وهو الجبل الذي كلَّم اللَّه موسى عنده ـ إلى سينين أي: سيناء، وهي البقعة التي فيها الجبل.

ويجوز أن تعرب ﴿سِينِينَ﴾ بالواو رفعًا، وبالياء نصبًا وجرًّا، كجمع المذكر السالم، وأن تعرب بحركات الإعراب الثلاث (الضمة، والفتحة، والكسرة) على النون.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: مكة ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ أي: الآمن، أو المأمون فيه، من أَمِنَ الرجل أمانة فهو أمين، وأمانته أنَّه يَحفظ مَنْ دخله كما يحفظ الأمين ما يُؤتمن عليه، ومعنى القسم بهذه الأشياء: إظهار شرف تلك البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة؛ لأنَّها مهابط وحي اللَّه على أُولي العزم من الرسل؛ فالتين والزيتون قسم بمهبط الوحي على عيسى، والطور: المكان الذي نُودي منه موسى، ومكة: مكان البيت الذي هو هدى للعالمين، ومولد نبينا ومبعثه، صلوات اللَّه عليهم أجمعين.



﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

وجواب القسم: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وهو جنس ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ﴾ أي: ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أي: جعلناه من أصحاب النار التي هي أسفل الدركات، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين إلى أرذل العمر، وهو الهرم والضعف، والخرف، فانحنى ظهره بعد اعتداله، وابيض شعره بعد سواده، وضعف سمعه وبصره، وتغير كل شيء منه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ الاستثناء على القول الأول متصل، والمعنى: إِلَّا الَّذِينَ جمعوا بين الإيمان والعمل، فلهم ثواب جزيل، ينجون به من النار أسفل السافلين.

وعلى القول الثاني منقطع، والمعنى: لكن الذين كانوا صالحين من الهَرْمَى والزَّمْنَى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: فما سبب تكذيبك ـ أيها الإنسان ـ بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع والبرهان الساطع على قدرة الخالق؛ حيث خلقك من نطفة وجعلك بشرًا سويًا ثم ردَّك إلى أرذل العمر، أليس مَنْ قدر على خلق الإنسان وعلى هذا كله لم يعجز عن إعادته بعد موته!.

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله، واللَّه أعلم.



من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ مجاز مرسل علاقته الحالية بإطلاق الحالّ وإرادة المحل.

ـ الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ للإنسان على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التوبيخ والعتاب.

ـ في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ استفهام تقريري.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ القسم بمواضع ثلاثة مقدسة هي مقام الأنبياء ومهبط الوحي، على أنَّ اللَّه خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم يردُّه إلى أرذل العمر، وهو الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، أو يردُّ بعض أفراده أسفل سافلين.

٢ ـ إقامة الدليل على البعث بعد الموت، فالقادر على ابتداء الخلق، قادر على الإعادة بعد الموت من باب أولى.

٣ ـ اللَّه أتقن الحاكمين صنعًا في كل ما خلق، وأحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلا بين الخلق.





الأسئلة

س١: ما المراد بالتين والزيتون؟ وما وجه الإقسام بهما؟ وما الطور؟ وما سينين؟ وكيف تعرب؟.

س٢: ما المراد بالبلد؟ وما المراد من أمنه؟ وما جواب القسم؟.

س٣: ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾؟ وما المعنى؟ ولِمَنْ الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾؟.

س٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾.

(ب) الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾.

س٥: اذكر ما يُستفاد من السورة.

***



سورة العلق
(مكية وهي: تسع عشرة آية)

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

الحكمة في خلق الإنسان وتعليمه

عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: هي أول سورة نزلت.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ محل ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ النصب على الحال من ضمير ﴿ اقْرَأْ ﴾. أي: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، كأنَّه قيل: قل بسم اللَّه ثم اقرأ. ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾ لم يذكر لخَلَقَ مفعولًا؛ لأنَّ المعنى أنَّ رَبّكَ الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه، أو تقديره: خلق كل شيء، فيتناول كل مخلوق؛ لأنَّه مطلق. وقوله: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق؛ لشرفه، ولأنَّ التنزيل إليه، ويجوز أن يُراد بقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾ الإنسان؛ إلا أنَّه ذُكر مبهمًا ثم مفسرًا؛ تفخيمًا لخلقه، ودلالة على عجيب فطرته. ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ وإنما جُمع ولم يقل: من علقة؛ لأنَّ الإنسان في معنى الجمع؛ والمراد به الجنس. ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ من كل كريم؛ ينعم على عباده النعم، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه. ﴿ الَّذِي عَلَّمَ ﴾ أي: علّم الإنسان الكتابة ﴿ بِالْقَلَمِ ﴾.

﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبَّه على فضل علم الكتابة؛ لِمَا فيه من المنافع العظيمة، فما دُوِّنت العلوم، ولا قُيِّدت الحكم، ولا ضُبِطت أخبار الأولين،

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾

ولا كُتُب اللَّه المُنَزَّلة إلا بالكتابة، ولولا هي لَمَا استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة اللَّه دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به. ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لمَنْ كفر بنعمة اللَّه عليه بطغيانه، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ إلى آخر السورة نزلت في أبي جهل[1]، ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ أن رأى نفسه، ومعنى الرؤية هنا: العلم، ومفعول رأى الأول: هو الضمير، و﴿ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ هو المفعول الثاني. وقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ تهديدٌ للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات، والرُّجْعى: مصدر بمعنى الرجوع أي: إنَّ رجوعك ـ أيها الإنسان ـ إلى ربك فيجازيك على طغيانك.

تهديد الطغاة ووعيدهم

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ أي: أرأيت أبا جهل ينهى محمدًا ﷺ. ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ أي: أرأيت إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة اللَّه ﴿أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾ أو كان آمرًا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أي: أرأيت إن كان ذلك الناهي مُكذِّبا بالحق معرضًا عنه كما نقول نحن؟! ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: يطلع على أحواله من الهدى والضلال، فيجازيه على حسب حاله، وهذا وعيدٌ له.

---

(١) أخرجه أحمد، ومسلم.

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴾

﴿ كَلَّا ﴾ ردع لأبي جهل عن نهيه عن عبادة اللَّه، وأمره بعبادة الأصنام ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عمَّا هو فيه ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ الناصية: شعر الجبهة، والسَّفْع: القبض على الشيء، وجذبه بشدة، أي: لنأخذنَّ بناصيته، ولنسحبنَّه بها إلى النار ﴿ نَاصِيَةٍ ﴾ تُعرب بدلًا من الناصية؛ لأنَّها وُصفت بالكذب والخطأ بقوله تعالى: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ النادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم، والمراد به هنا: أهل النادي، والزبانية: الشُّرط، جمع زِبْنية، مِنْ الزبن وهو الدفع، والمراد: ملائكة العذاب. رُوي أنَّ أبا جهل مرَّ بالنَّبي ﷺ وهو يصلي، فقال: ألم أنهك؟ فأغلظ له رسول اللَّه ﷺ، فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديًا ؟! فنزلت الآية[1]. ﴿ كَلَّا ﴾ ردع لأبي جهل ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي اثبت على ما أنت عليه ـ أيها الرسول ـ من عصيانه ﴿وَاسْجُدْ ﴾ أي: دُم واستمر على سجودك، يريد الصلاة ﴿وَاقْتَرِب ﴾ وتقرب إلى ربك بالسجود، فإنَّ أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد، كذا الحديث[2]، واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ كناية، كنى بالعبد عن رسول اللَّه ﷺ، ولم يقل: ينهاك تفخيمًا لشأنه وتعظيمًا لقدره.

---

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم.



ـ في قوله تعالى: ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ مجاز عقلي، أسند الكذب والخطأ إلى الناصية مجازًا، والمراد صاحبها؛ لأنَّه السبب.

ـ في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية، أي أهل ناديه، بإطلاق المحل وإرادة الحال.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ فضل تعلم القراءة والكتابة؛ لأنَّها أداة معرفة علوم الدين والوحي، وأساس تقدم العلوم والمعارف والآداب والثقافات، ونمو الحضارة.

٢ ـ من كرم اللَّهِ تعالى وفضله: أن علَّم الإنسان ما لم يكن يعلمه، لينقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

٣ ـ ذمُّ طَبْعٍ في الإنسان قبيح، وهو أنه ذو فرح وأَشَر، وبَطَرٍ وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى، وكثر ماله.

٤ ـ تهديد الطغاة بالحشر والنشر، فإن اللَّه تعالي يُجازي كل أحد بما عمل.





الأسئلة

س١: ما محل قوله تعالى: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؟ وما مفعول ﴿خَلَقَ﴾ إن كان له مفعول؟ ولم حُذف؟ وما المعنى إن لم يكن له مفعول؟.

س٢: لِمَ خصَّ الإنسان بالخلق بعد ما عممَّ؟ وإذا كان مفعول ﴿خَلَقَ﴾ الأول خاصًّا فما تقديره؟ وما وجه ذِكْر خَلْق الإنسان بعده؟.

س٣: ولِمَ قال تعالى: ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾ ولم يقل من علقة؟ وما مفعول ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾؟ وما وجه المِنَّة بقوله: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾؟.

س٤: فيمَنْ نزل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾؟ ولمَنْ ضمير الفاعل والمفعول في قوله تعالى: ﴿رَّءَاهُ﴾؟ وما ﴿ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾؟ وما نوع الاستفهام في ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ﴾؟ وما المراد باسم الموصول وبالعبد؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊



سورة القدر

(مكية وقيل مدنية وهي: خمس آيات)

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾

فضل ليلة القدر

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ عظَّم اللَّه القرآنَ حيث أسند إنزاله إليه دون غيره، وجاء بضميره دون اسمه الظاهر؛ للاستغناء عن التعريف به، ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه.

ومعنى ليلة القدر: ليلة تقدير الأمور وقضائها، والقدر: بمعنى التقدير، أو سُمِّيت بذلك؛ لشرفها على سائر الليالي، وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان على الأرجح؛ كذا رُوي عن أبي حنيفة، وهو قول الجمهور، ولعل الدَّاعي إلى إخفائها: أن يُحيي مَنْ يريدها الليالي الكثيرة؛ طلبًا لموافقتها، وفي الحديث: «مَنْ أدركها فليقل: اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني»[1]. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ أي: لم تبلغ معرفتك غاية فضلها، ثم بيّن له فضلها بقوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ ليس فيها ليلة القدر، وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية: ما يوجد فيها من تنزُّل الملائكة، والروح، وفَصْل كلِّ أمرٍ حكيمٍ، وذُكِر في تخصيص هذه المدة أنَّ النبي ﷺ ذكر رجلًا من بنى إسرائيل لبس السلاح في سبيل اللَّه ألف شهر، فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم،

---

(١) أخرجه مسلم.



فأُعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي[1]. ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إلى الأرض ﴿ وَٱلرُّوحُ ﴾ جبريل ﴿ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي: تنزل من أجل كل أمر قضاه اللَّه لتلك السنة ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾ خبر ومبتدأ، أي: ما هي إلا سلامة، أي: لا يقدّر اللَّه فيها إلا السلامة والخير، ويقضي في غيرها بلاء وسلامة، أو ما هي إلا سلام؛ لكثرة تسليم الملائكة على المؤمنين في تلك الليلة ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: إلى وقت طلوع الفجر، وقد حُرِم من السلام الذين كفروا، واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

ـ تكرر قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات؛ للتفخيم وزيادة العناية بها.

ـ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ يقصد به التفخيم والتعظيم.

ـ في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ ذِكْر الخاص بعد العام، حيث ذُكر جبريل بعد الملائكة وهو منهم؛ للتنويه بقدره.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ بدء نزول القرآن العظيم في ليلة القدر من ليالي رمضان المبارك.

٢ ـ ليلة القدر هي ليلة الشرف والتعظيم، وليلة الحكم والتقدير، يقدّر اللَّه فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة.

٣ ـ العمل في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم والواحدي.



٤ ـ تهبط الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر، ويؤمّنون على دعاء الناس، إلى وقت طلوع الفجر.

٥ ـ ليلة القدر ليلة أمن وسلام، وخير وبركة من اللَّه تعالى، فلا يقدّر اللَّه في تلك الليلة إلا السلامة، وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة.

* * *

الأسئلة

س١: في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أوجه كثيرة لتعظيم القرآن الكريم اذكرها.

س٢: ماذا تعرف عن ليلة القدر؟ ولِمَ أُخفيت؟ وما وجه وصفها بهذا الوصف؟.

س٣: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾؟ وبم فُضِّلت ليلة القدر؟.

س٤: إلى أين تنزل الملائكة؟ وما المراد بالروح؟ وما إعراب ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) تكرار قوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ ثلاث مرات.

(ب) قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.





سورة البينة
(مختلف فيها وهي: ثمان آيات)

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾

لا تكليف بلا بيان ولا عقوبة دون إنذار

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: كفروا بمحمد ﷺ. ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: اليهود والنصارى. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عبدة الأصنام. ﴿مُنفَكِّينَ﴾ منفصلين عن الكفر. ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ معنى البينة: الحجة الواضحة، والمراد بها: محمد ﷺ، ومعنى الآية: لم يتركوا كفرهم حتى يُبعث محمد ﷺ، فلما بُعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض.

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: محمد ﷺ، وتُعرب ﴿رَسُولٌ﴾ بدل من ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

﴿يَتْلُوا۟﴾ يقرأ عليهم. ﴿صُحُفًا﴾ قراطيس. ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ أي: من الباطل.

﴿فِيهَا﴾ أي: الصحف.

﴿كُتُبٌ﴾ مكتوبات ﴿قَيِّمَةٌ﴾ أي: مستقيمة ناطقة بالحق والعدل.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ المراد: أنهم تفرقوا، فمنهم من أنكر نبوته بغيًا وحسدًا، ومنهم من آمن. لكنه تعالى أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أولًا بينهم وبين المشركين؛ لأنهم كانوا على علم به؛ لوجوده في كتبهم، فإذا وُصفوا بالتفرق عنه، كان مَنْ لا كتاب له أولى.



﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ ﴾ يعني: اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل ﴿ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ من غير شرك ونفاق ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ أي دين الملة القيمة.

وعيد الكفار ووعد الأبرار:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ قرأ نافع بهمزهما ﴿ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾، و﴿ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ ـ هكذا «البريئة» ـ والباقون على التخفيف ـ هكذا ﴿ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ ـ.

﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ يقيمون فيها ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ بقبول أعمالهم ﴿ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ بثوابها ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الرضا ﴿ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة؛ لأن البرية: الخلق، واشتقاقها مِنْ بَرَأَ اللَّه الخلق، وقيل: اشتقاقها من البَرَى، وهو التراب، ولو كان كذلك لما قرأوا البريئة بالهمز، كذا قاله الزَّجَّاج، والله أعلم.



من الأسرار البلاغية:

ـ في لفظ ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ استعارة تصريحية، حيث شبّه تنزُّه الصحف عن الباطل بطهارتها عن الأنجاس.

ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مقابلة بين عذاب الكفار، ونعيم الأبرار.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ إن أهل الكتاب والمشركين لم يتركوا كفرهم حتى بعث اللَّه نبيه محمدًا ﷺ، فلما بُعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض.

٢ ـ فضل المؤمنين من البشر على الملائكة.

* * *

الأسئلة

س١: ما المقصود بأهل الكتاب؟ وما معنى ﴿مُنفَكِّينَ﴾؟ وما معنى ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾؟ وما المراد بها؟ وما معنى الآية بأسلوبك؟.

س٢: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؟ وما موقعه من الإعراب؟ وما معنى ﴿قَيِّمَةٌ﴾؟.

س٣: اشرح بإيجاز قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

س٤: لِمَ أفرد هنا أهل الكتاب بعد ما جمع أولًا بينهم وبين المشركين؟ وما معنى ﴿حُنَفَآءَ﴾؟ وما معنى ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾؟.

س٥: كيف يرضى اللَّه عن عباده؟ وكيف يَرْضَوْنَ عنه؟ وعلام يدل قوله تعالى ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾؟ وممَ اشتق لفظ ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾؟ وهل يصح اشتقاقه من البرى؟ ولماذا؟.

س٦: وضح السر البلاغي في لفظ ﴿مُّطَهَّرَةً﴾.

س٧: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة الزلزلة

(مختلف فيها وهي: ثمان آيات)

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾

أهوال يوم القيامة:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: اضطربت اضطرابًا شديدًا، وهو الزلزال الذي ليس بعده زلزال.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: كنوزها وموتاها جمع ثِقَل.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي: لِمَ زُلزلت الأرض هذه الزلزلة الشديدة وَلَفَظَتْ ما في بطنها؟ وذلك عند النفخة الثانية حين تُزلزل وتلفظ موتاها أحياءً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾، وناصبها ﴿تُحَدِّثُ﴾ أي: تحدث الخلقَ ﴿أَخْبَارَهَا﴾ فحذف أول المفعولين؛ لأنَّ المقصود ذِكْر تحديثها الأخبار لا ذِكْر الخلق.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها ـ أي إليها ـ وأمره إياها بالتحديث.

الجزاء على الخير والشر:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف ﴿أَشْتَاتًا﴾ بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين، أو يصدرون عن الموقف أشتاتًا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ عملًا يسيرًا ﴿خَيْرًا ﴾ تمييز ﴿يَرَهُۥ ﴾ أي: يرى جزاءه.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ قيل: هذا في الكفار والأول في المؤمنين، وهذه أحكم آية، وسميت الجامعة، واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ إظهار في مقام الإضمار، لزيادة التقرير والتوكيد.

- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ استفهام للتعجب والاستغراب.

- في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ مقابلة.

ما يستفاد من السورة الكريمة

١ ـ الأرض تُحدِّث أخبارها يوم القيامة.

٢ ـ الإنسان مجزي بعمله خيرًا كان أو شرًا، صغيرًا كان أو كبيرًا.

* * *

الأسئلة

س١: ما معنى ﴿زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾؟ وما المقصود بأثقالها؟ وما مفرد أثقال؟ وما إعراب ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾؟.

س٢: مَنْ تحدثه الأرض حينها؟ وما موقع ﴿أَخۡبَارَهَا﴾ من الإعراب؟.

س٣: لِمَ حذف المفعول الأول في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾؟ وما نوع الباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾؟.

س٤: ما معنى ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾؟ وكيف يكونون أشتاتا؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾؟ وما إعراب خيرًا؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾.

(ب) قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

***

سورة العاديات
(مختلف فيها وهي: إحدى عشرة آية)

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥﴾

جحود النعم وإهمال الاستعداد للآخرة

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ أقسم بخيل الغزاة تعدو فَتَضْبح، والضَّبْح: صوت أنفاسها إذا عَدَوْنَ، وانتصاب ﴿ضَبۡحٗا﴾ على أنه مفعول مطلق، والتقدير: يَضْبحن ضَبْحا.

﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ﴾ توري نارَ الحُباحِب، وهي ما ينقدح من حوافرها [كان الحُباحِب رجلا من أحياء العرب، وكان من أبخل الناس، فبخل حتى بلغ به البخل أنه كان لا يوقد نارًا بليل، فإذا انتبه منتبه ليقتبس منها أطفأها، فكذلك ما أَوْرَت الخيل لا يُنتفع به، كما لا ينتفع بنار الحُباحِب].

﴿قَدۡحٗا﴾ قادحات صاكات بحوافرها الحجارة، والقدح: الصك، والإيراء: إخراج النار.

﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ﴾ تُغير على العدو ﴿صُبۡحٗا﴾ في وقت الصبح ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾ فهيّجن بذلك الوقت غبارًا.

﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ﴾ بذلك الوقت ﴿جَمۡعًا﴾ من جموع الأعداء، ووسطه بمعنى توسُّطه، وقيل: الضمير لمكان الغارة، أو للعَدْي الذي دل عليه ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾، وعطف ﴿فَأَثَرۡنَ﴾ على الفعل الذي وُضع اسم الفاعل موضعه؛ لأنَّ المعنى: واللاتي عدون فأورين فأغرن فأَثَرْن، وجواب القسم:

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ لكفور، أي: إنَّه لنعمة ربه خصوصًا لشديد الكفران.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنَّ الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ على كنوده ﴿لَشَهِيدٞ﴾ يشهد على نفسه، أو: وإنَّ اللَّه على كنوده لشاهد، على سبيل الوعيد. ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ وإنَّه لأجل حب المال لبخيل ممسك، أو إنَّه لحب المال لقوي وهو لحب عبادة اللَّه ضعيف. ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾ الإنسان ﴿إِذَا بُعۡثِرَ﴾ بعث ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ من الموتى. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مُيِّز ما فيها من الخير والشر. ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾ لعالم، فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر، وخص ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الأزمان؛ لأن الجزاء يقع يومئذ. واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾ التأكيد بإنَّ واللام لزيادة التقرير والبيان.

ـ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ استفهام إنكاري للتهديد والوعيد.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ ـ على الإنسان أن يعترف بنعم ربه عليه.

٢ ـ اللَّه عالم بنا مطلع علينا في جميع الأزمان.



الأسئلة

س١ : بِمَ أقسم اللَّه في هذه السورة؟ وما الضَّبْح؟ وعلام انتصب ﴿ضَبۡحٗا﴾؟.

س٢ : ما المقصود بالموريات؟ وما القَدْح؟ ولم سُمِّيت مُغيرات؟ وما معنى ﴿صُبۡحٗا﴾؟.

س٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾؟ وعلام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾؟ وأين جواب القسم؟.

س٤ : ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾؟ ومَنْ الشهيد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ﴾؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾؟

س٥ : ما معنى ﴿بُعۡثِرَ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾؟ ولِمَ خص ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بالذكر؟.

س٦ : وضح السر البلاغي فيما يأتي:

س٧: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾.

س٨: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾.

س٩ : اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة القارعة

(مكية وهي: إحدى عشرة آية)

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾

من أهوال القيامة

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ مبتدأ ﴿مَا﴾ مبتدأ ثانٍ ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول، وكان حقه أن يقول: ما هي؟ وإنما كرّر تفخيمًا لشأنها. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: أي شيء أعلمك ما هي؟ ومن أين علمت ذلك؟ ﴿يَوْمَ﴾ نُصب بمضمر دلت عليه ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: تقرع يوم ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار، وسمي فراشًا؛ لتفرُّشه وانتشاره.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ وشبّه الجبال بالعهن، وهو الصوف المُصْبَغ ألوانًا؛ لأنها ـ أي الجبال ـ ألوان؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾[1] وبالمنفوش منه، لتفرق أجزائها.

(١) سورة فاطر . الآية: ٢٧.



﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾

جزاء المتقين وعقاب العاصين:

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ باتباعهم الحق، وهي ـ أي: الموازين ـ جمع موزون، وهو العمل الذي له وزن وخطر عند اللَّه، أو جمع ميزان، وثقلها: رجحانها.

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ ذات رضا، أو مرضية.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ باتباعهم الباطل.

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾ فمسكنه ومأواه النار، وقيل للمأوى أمٌّ على التشبيه؛ لأن الأم مأوى الولد ومفزعه

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾ الضمير يعود إلى ﴿هَاوِيَةٞ﴾، والهاء للسكت ثم فسرها فقال ﴿ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ بلغت النهاية في الحرارة، واللَّه أعلم.

من الاسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴾ تشبيه، شبه اللَّه تعالى الناس في الآخرة بالفراش في الكثرة والانتشار.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴾ تشبيه، شبه اللَّه تعالى الجبال في الآخرة بالصوف المصبغ ألوانا في التفتت والتفرق.

ـ في قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن الذي يرضى بها الذي يعيش فيها.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ـ من ثقلت موازينه فاز ومن خفت موازينه خسر.

٢ـ النار التي توعد اللَّه بها ليست كنار الدنيا بل هي نار بلغت النهاية في الحرارة.

***

الأسئلة

س١: ما إعراب قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ① مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾؟ ولِمَ كرَّر لفظ القارعة؟.

س٢: بِمَ نُصب ﴿يَوْمَ﴾؟ ولِمَ شبَّه الناس بالفراش؟ ولماذا سُمِّي فراشا؟.

س٣: لِمَ شبَّه الجبال بالعهن المنفوش؟ وما مفرد ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾؟ وما معنى المفرد؟.

س٤: ما معنى ﴿رَّاضِيَةٍ﴾؟ وما المراد بقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾؟ وما معنى ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

***

سورة التكاثر

(مكية وهي: ثمان آيات)

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾﴾

التفاخر في الدنيا والسؤال عن الأعمال

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ شغلكم التباري في الكثرة، والتباهي بما في الأموال والأولاد عن طاعة اللَّه.

﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ حتى أدرككم الموت على تلك الحال، أو حتى زرتم المقابر وعددتم مَنْ في المقابر مِنْ موتاكم. ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ في القبر، أو عند النزع، سوء عاقبة ما كنتم عليه. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ في القبور. ﴿كَلَّا﴾ تكرير الردع؛ للإنذار والتخويف ﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ جواب ﴿لَوۡ﴾ محذوف، أي: لو تعلمون ما بين أيديكم ﴿عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ علم الأمر يقين، أي: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور، لما ألهاكم التكاثر، أو لفعلتم ما لا يوصف، ولكنكم ضُلَّال جهلة.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ هو جواب قسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ كرره معطوفا بـ(ثم)؛ تغليظًا في التهديد، وزيادة في التهويل، أو الأول بالقلب والثاني بالعين ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ عن الأمن والصحة فيم أفنيتموهما.

من الأسرار البلاغية:

ـ تكرر الإنذار في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾؛ للدلالة على أنَّ الإنذار الثاني أبلـغ من الأول.

ـ كرر القسم معطوفًا بثم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾؛ تغليظًا في التهديد، وزيادة في الوعيد.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ تحذير العبد من الانشغال عن طاعة اللَّه.

٢ـ لو أيقن الناس بالجزاء لفعلوا ما لا يوصف من طاعة اللَّه.

٣ـ العبد مسئول في الآخرة عن نعم اللَّه عليه.

***

الأسئلة

س١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾؟.

س٢: ما نوع ﴿كَلَّا﴾؟ وما معناها في هذا الموضع؟ ولم كرر ﴿كَلَّا﴾؟.

س٣: أين جواب ﴿لَوْ﴾؟ وما المعنى على هذا؟.

س٤: ما موقع ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ من الإعراب؟ ولِمَ كرَّر ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ معطوفًا بـ ﴿ثُمَّ﴾؟ وما المراد بـ ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

***



سورة العصر
(مختلف فيها وهي: ثلاث آيات)

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

حال المؤمن والكافر

﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم بصلاة العصر؛ لفضلها، ولأنَّ التكليف في أدائها أشق؛ لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم، أو أقسم بالعَشِيِّ كما أقسم بالضحى؛ لما فيها من دلائل القدرة، أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب. وجواب القسم ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أي: جنس الإنسان لفي خسران من تجاراتهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا، فربحوا وسعدوا ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله من توحيد اللَّه وطاعته واتباع كتبه ورسله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي و على الطاعات وعلى ما يبلو به اللَّه عباده. ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ في الموضعين فعل ماضٍ معطوف على ماض قبله، واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ أي الناس؛ بدليل الاستثناء، فهو من إطلاق البعض وإرادة الكل.

ـ التنكير في قوله تعالى: ﴿خُسْرٍ﴾ للتعظيم، أي في خُسْرٍ عظيم.

ما يستفاد من السورة الكريمة

١ـ فضل صلاة العصر.

٢ـ الإنسان في خسران إلا مَنْ آمن، وعمل صالحًا، وثبت على الحق، وصبر على الأذى.

٣ـ الصبر أقسام ثلاثة: صبر عن المعاصي، وصبر على الطاعات، وصبر على البلاء.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

س١ : ما المُقسَم به في صدر السورة؟ ولِمَ أقسم به؟ وما المُقسَم عليه؟.

س٢ : لماذا استثنى المؤمن الصالح من الخسران؟.

س٣: ما المراد بالحق، والصبر؟ وما إعراب ﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾ في الموضعين؟.

س٤ : وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾.

(ب) قوله: ﴿خُسۡرٍ﴾.

س٥ : اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊



سورة الهُمزة

(مكية وهي: تسع آيات)

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧﴾

الطعّان العيّاب للناس وجزاؤه

﴿وَيۡلٞ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾ أي الذي يعيب الناس من خلفهم ﴿لُّمَزَةٍ﴾ أي: مَنْ يعيبهم مواجهة. قيل: نزلت في الأَخْنَس بن شُريق، وكانت عادته الغيبة والوقيعة، وقيل: في أُميَّة بن خلف، وقيل: في الوليد ابن المغيرة، ويجوز أن يكون السبب خاصًا والوعيد عامًا؛ ليتناول كلَّ مَنْ باشر ذلك الفعل القبيح.

﴿ٱلَّذِي﴾ بدل من (كل)، أو نصب على الذم. ﴿جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: جعله عُدّة لحوادث الدهر.

﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ أي: تركه خالدًا في الدنيا لا يموت ﴿كَلَّاۖ﴾ ردع له عن حُسْبانه ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي: الذي جمع ﴿فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ في النار التي شأنها أَنْ تُحطِّم كلَّ ما يُلقى فيها ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ تعجيب وتعظيم ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هي نار الله ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ نعتها ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ يعني: أنّها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم، وتطلع على أفئدتهم، وهى أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، وقيل:

خص الأفئدة؛ لأنَّها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة، ومعنى اطِّلاع النار عليها: أنَّها تشتمل عليها ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ أي: الحطمة ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة. ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ أي: تُوصَد عليهم الأبواب، وتُمدَّد على الأبواب العمد؛ استيثاقًا في استيثاق، واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ من صيغ المبالغة، على وزن: فُعَلة، كنُوَمة، وعُيَبة وسُحَرة وضُحَكة.

- تنكير ﴿مَالًا﴾ للتفخيم، أي جمع مالًا كثيرًا.

- في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾؟ الاستفهام للتفخيم والتهويل لنار جهنم.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ يَحْرُم على الإنسان أن يعيب أخاه.

٢ـ يجب على الإنسان أن يُطهِّر قلبه من كل ما يؤدي إلى اطِّلاع النار عليه.

***



الأسئلة

س١: إعرب قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، وما الفرق بين ﴿هُمَزَةٍ﴾ و﴿لُّمَزَةٍ﴾؟.

س٢: هل الوعيد في الآية عامٌّ أم خاص؟ وما موقع ﴿ٱلَّذِى﴾ من الإعراب؟ وما معنى ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾؟.

س٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾؟ وما نوع ﴿كَلَّا﴾؟ وما معناها هنا؟ ولم سميت النار حطمة؟.

س٤: ما موقع ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ من الإعراب؟ وما إعراب الموقدة؟ وما معنى ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾؟ ولِمَ خصَّ ﴿ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ بالذكر؟ وما معنى ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) تنكير ﴿مَالًا﴾.

(ب) قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *

سورة الفيل
(مكية وهي: خمس آيات)

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾

قصة أصحاب الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ ﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ﴿فَعَلَ﴾ لا بـ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لِمَا في ﴿كَيْفَ﴾ من معنى الاستفهام، والجملة سدَّت مسدَّ مفعولي ﴿تَرَ﴾؛ وفي ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب؛ أي: عجّب اللَّه نبيه مِنْ كُفْر العرب، وقد شَاهَدَت هذه العظمة من آيات اللَّه. ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ورد ما خلاصته أن النجاشي ملك الحبشة، وهو أَصْحَمة جدّ النجاشي الذي آمن بالنبي ﷺ كان بعث أَبْرَهة أميرًا على اليمن، فأقام به واستقامت له الكلمة هناك، وبنى كنيسة؛ ليصرف إليها الحُجَّاج من مكة، فأحدث رجل مِنْ كِنَانة فيها، فحلف أبرهة ليهدمنّ الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال، فحين توجهوا لهدم الكعبة، أرسل اللَّه عليهم ما قَصَّته السورة، وكان ذلك عام مولد النبي ﷺ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ في تضييع وإبطال؛ يعنى: أنهم كادوا البيت أولًا ببناء كنيسة القُلَّيس ليصرفوا وجوه الحُجَّاج إليها، فضُلِّلَ كيدهم بإيقاع الحريق فيها، وكادوه ثانيًا بإرادة هدمه، فضُلِّلَ كيدهم بإرسال الطير عليهم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ الواحدة إِبالة، أي: جماعات من ههنا وجماعات من ههنا.



﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أي: الآجُر[1]. ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ زرع أكله الدود.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ ﴾ الاستفهام للتقرير والتعجيب.

- في قوله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ تشبيه مرسل مجمل، ذكرت الأداة، وحذف وجه الشبه.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ اللَّه تعالى حفظ البيت الحرام من كيد أعدائه على مر العصور.

٢ـ انتقام اللَّه من أعدائه أليم شديد.

* * *

(١) الآجُر: الطين الصلب، راجع تاج العروس.

الأسئلة

س١: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟.

س٢: ما إعراب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾؟ وما معنى ﴿تَضْلِيلٍ﴾؟.

س٣: ما مفرد ﴿أَبَابِيلَ﴾؟ وما معناها؟ وما السجيل؟ وما العصف المأكول؟.

س٤: وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

س٥: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

***

سورة قريش
(مكية وهي: أربع آيات)

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾

التذكير بنعم الله على قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين، أي: إنَّ نعم اللَّه عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة، أو متعلق بما قبله، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قُرَيْشٍ، يعني: أنَّ ذلك الإتلاف لهذا الإيلاف، والمعنى: أنَّه أهلك الحبشة الذين قصدوهم؛ ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم ويهابوهم؛ حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم، فلا يجترئ أحد عليهم.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ نصب الرحلة بـ ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ مفعولًا به، وأراد رحلتي الشتاء والصيف؛ فأفرد لأَمْن الإلباس، وكانت لقريش رحلتان، يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون[1]، ويتّجرون، وكانوا في رحلتيهم آمنين؛ لأنَّهم أهل حرم اللَّه فلا يُتَعَرَّض لهم، وغيرهم يُغار عليهم.

﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ التنكير في ﴿جُوعٖ﴾، و﴿خَوۡفِۭ﴾؛ لشدتهما، يعني: أطعمهم بالرحلتين

---

(١) من الميرة وهى الطعام يجمعه الإنسان لأهله.



من جوع شديد كانوا فيه قبلها، وآمنهم من خوف عظيم، وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التَّخَطُّف في بلدهم ومسايرهم، وقيل: كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة. ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ الجذام فلا يصيبهم ببلدهم، وقيل: ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾، و﴿جُوعٍ﴾ و﴿خَوْفٍ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ تقديم ما حقُّه التأخير، والأصل: ليعبدوا ربّ هذا البيت، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فقدم الإيلاف، تذكيرًا بالنعمة.

- تنكير ﴿جُوعٍ﴾، و﴿خَوْفٍ﴾، لبيان شدتهما، أي جوع وخوف شديدين.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ على الإنسان أن يتذكر نعم ربه عليه.

٢ـ على الإنسان أن يشكر اللَّه على نعمه.

٣ـ شكر النعمة يكون بامتثال أوامر المنعم واجتناب نواهيه.

٤ـ نعمتا القوت والأمن من أعظم النعم.

* * *



الأسئلة

س١ : بم يتعلق قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾؟ وما المعنى بأسلوبك؟.

س٢ : بِمَ نصب ﴿رِحْلَةَ﴾؟ وما المراد بها؟ ولِمَ أفرد ولَمْ يثن؟.

س٣ : لِمَ نكَّر لفظي ﴿جُوعٍ﴾، و﴿خَوْفٍ﴾؟ وما الخوف الذي آمنهم اللَّه منه في قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾؟

س٤ : وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾.

س٥ : اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة الماعون

(مختلف فيها وهي: سبع آيات)

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾

عقاب المُكذِّب بالدين والمرائي بعمله

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء مَنْ هو؟ إن لم تعرفه ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى﴾ يكذب بالجزاء هو الذي ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه دفعًا عنيفًا بِجَفْوة وأذى، ويرده ردًا قبيحًا بزجر وخشونة.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ولا يحثّ أهله على بذل طعام المسكين. جعل علامة التكذيب بالجزاء: مَنْع المعروف، والإقدام على إيذاء الضعيف، أي: لو آمن بالجزاء، وأيقن بالوعيد؛ لخشي اللَّه وعقابه، ولم يُقْدم على ذلك، فحين أقدم عليه دل أنَّه مكذب بالجزاء. ثم وصل به قوله:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ يعنى: بهذا المنافقين، أي: لا يُصلُّون سرًّا؛ لأنَّهم لا يعتقدون وجوبها، ويُصلُّون علانيةً رياءً، وقيل: ﴿فَوَيْلٌ﴾ للمنافقين الذين يُدخلون أنفسهم في جملة المصلِّين صورةً وهم غافلون عن صلاتهم، وأنَّهم لا يريدون بها قُرْبةً إلى ربهم، ولا تأديةً للفرض، فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون، ويُظهرون للناس أنَّهم يُؤدون الفرائض، ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة.



والمراءاة: مفاعلة من الإراءة؛ لأنَّ المرائي يُري الناس عمله، وهم يُرونَه الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار الفرائض؛ فمن حقها الإعلان بها؛ والإخفاء في التطوع أولى، فإن أظهره قاصدًا للاقتداء به كان جميلًا، والماعون: الزكاة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما يستعار في العادة من الفأس والقِدْر والدَّلْو والمِقْدَحَة[1] ونحوها. وعن عائشة رضي الله عنها: الماء والنار والملح. واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهام يراد به تشويق السامع إلى الخبر والتعجيب منه.

- في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ إيجاز بالحذف، حذف منه الشرط، أي: إن أردت أن تعرفه فذلك الذي يدعّ اليتيم.

- في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر، والأصل ﴿فَوَيْلٌ﴾ لَهُمْ؛ زيادة في التقبيح.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ التصديق بالجزاء يتطلب امتثالًا للأمر واجتنابًا للنهي.

٢ـ تحريم الرياء وذم المرائين.

٣ـ إخلاص الأقوال والأعمال لله وحده.

٤ـ الحرص على نفع الناس.

٥ـ تحريم إيذاء اليتيم.

---

(١) هي: المغْرفة تاج العروس مادة قدح ٧/ ٤٠.

الأسئلة

س١: ما معنى ﴿يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾؟ وما دعُّ اليتيم؟.

س٢: ما علامة التكذيب بالدين؟ ولماذا؟.

س٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾؟.

س٤: لِمَ سُمِّي المرائي بذلك؟ وهل في إظهار الفرائض رياء؟ ولماذا؟ وما حكم إظهار التطوع؟ وما الماعون؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة الكوثر
(مكية وهي: ثلاث آيات)

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾

مِنحٌ مُعطاة للنبي ﷺ وبيان خسارة شانئيه

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ هو المُفْرِط الكثرة، وقيل: «هو نهر في الجنة، أحلى من العسل، وأشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافتاه الزَّبَرْجَد، وأوانيه من فضة»(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الخير الكثير؛ فقيل له: إن ناسًا يقولون: هو نهر في الجنة؛ فقال: هو من الخير الكثير(٢).

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فاعبد ربَّك، الذي أعزك بإعطائه، وشرَّفك، وصانك مِنْ مِنَنِ الخلق، مراغمًا لقومك الذين يعبدون غير اللَّه ﴿وَٱنْحَرْ﴾ لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفًا لعبدة الأوثان في النحر لها.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إنَّ مَنْ أبغضك من قومك بمخالفتك لهم ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير لا أنت؛ لأنَّ كل مَنْ يُولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وَذِكْرك مرفوع على المنابر، وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر اللَّه ويثنِّي بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف؛ فمثلك لا يقال له أبتر، إنَّما الأبتر هو شانئك المنسيُّ في الدنيا والآخرة، والأبتر: الذي لا عقب له، وهو خبر ﴿إِنَّ﴾ و ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، «بمعناه».
(٢) أخرجه البخاري.



من الأسرار البلاغية:

- ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ بصيغة الجمع الدالة على التعظيم، وفيه تصدير الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم؛ لأن أصلها: إن ونحن.

- ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ وعبّر بصيغة الماضي المفيدة للوقوع، ولم يقل: سنعطيك؛ للدلالة على تحقُّق وقوع الوعد؛ مبالغة، كأنه حدث ووقع.

- ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ صيغة مبالغة على وزن فَوْعَل.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ـ منح النبي ﷺ مناقب كثيرة، وخيرا عظيما، منه النهر في الجنة، والحوض في الموقف.

٢ـ مقابلة نعم اللَّه بالشكر.

٣ـ مبغض رسول اللَّه ﷺ هو المنقطع عن كل خير.

* * *

الأسئلة

س١ : ما معنى الكوثر؟ وما المراد به؟.

س٢ : ما معنى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾؟ وما معنى ﴿شَانِئَكَ﴾؟.

س٣: ما المقصود بـ ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾؟ وما إعرابه؟ وما موقع ﴿هُوَ﴾ من الإعراب؟.

س٤ : وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ﴾.

س٥ : اذكر ما يُستفاد من السورة.

❊ ❊ ❊



سورة الكافرون
(مكية، وهي: ست آيات)

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾

البراءة من الشرك والكفر

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المخاطبون كفرةٌ مخصوصون قد علم اللَّه أنهم لا يؤمنون.

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لستُ في حالي هذه عابدًا ما تعبدون ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ الساعة ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ يعني: اللَّه ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ما عبدتم ﴿وَلَآ أَنتُمْ﴾ فيما تستقبلون ﴿عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ وذكر بلفظ ﴿مَآ﴾؛ لأنَّ المراد به الصفة، أي: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، أو ذكر بلفظ ﴿مَآ﴾؛ ليتقابل اللفظان. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ لكم شرككم ولي توحيدي.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ خطاب بالوصف؛ للتوبيخ والتشنيع.

- في قوله تعالى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ طباق السلب، فالأول نفي والثاني إثبات.



- في قوله تعالى: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ مقابلة بين الجملتين في الاستقبال.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ البراءة من الشرك والكفر.

٢ـ اختلاف المعبود واختلاف العبادة بين المسلمين وغيرهم

٣ـ الكفر كله ملة واحدة في مواجهة الإسلام؛ لأنَّ الدين الحق المقبول عند اللَّه هو الإسلام، وهو الإخلاص للَّه والتوحيد.

* * *

الأسئلة

س١: مَنْ المخاطبون بهذه السورة؟ وهل في السورة تكرار؟ وما معنى ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾؟.

س٢: وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾.

س٣: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة النصر

(مدنية وهي: ثلاث آيات)

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾

الإعلام بقرب أجل الرسول ﷺ:

﴿إِذَا﴾ منصوب بـ ﴿فَسَبِّحۡ﴾، وهو لما يستقبل، والإعلام بذلك قبل كَوْنه مِنْ أعلام النبوة.

﴿جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ النصر: الإغاثة والإظهار على العدو، والفتح: فتح البلاد، والمعنى: نصر رسول اللَّه ﷺ على العرب، أو على قريش وفتح مكة، أو جنس نصر اللَّه المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم. ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ﴾ هو حال من الناس، على أنَّ ﴿وَرَأَيۡتَ﴾ بمعنى أبصرت أو عرفت، أو ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ مفعول ثانٍ على أنَّ ﴿وَرَأَيۡتَ﴾ بمعنى علمت. ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ أفواجًا: هو حال من فاعل يدخلون، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿فَسَبِّحۡ﴾، أي: إذا جاء نصر اللَّه إياك على مَنْ عاداك، وفتح البلاد، ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الإسلام جماعات كثيرة، بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدًا واحدًا واثنين اثنين ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ فقل: سبحان اللَّه حامدًا له، أو فصلِّ له ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ تواضعًا وهضمًا للنفس، أو دُم على الاستغفار ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ ولم يزل ﴿تَوَّابَۢا﴾ التواب: الكثير القبول للتوبة، لجميع العباد الكثير

الفعل للتوبة، ويُروى أنَّ عمر رضي الله عنه لمَّا سمعها بكى، وقال: الكمال دليل الزوال، وعاش رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين، واللَّه أعلم

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ذكّر الخاص بعد العام، فإنَّ نصر اللَّه يشمل جميع الفتوحات، فعطف عليه فتح مكة؛ تعظيمًا لشأنه.

- ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾ هو الإسلام، وأضافه تعالى إليه، تشريفًا وتعظيمًا، مثل: بيت اللَّهِ، وناقة اللَّهِ.

- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ صيغة مبالغة على وزن (فعّال).

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ كل نعمة من اللَّه تعالى تستوجب الشكر والحمد والثناء على اللَّه بما هو أهله.

٢ـ الإكثار من الصلاة، والتسبيح للهِ، أي تنزيه اللهِ عن كل ما لا يليق به ولا يجوز عليه.

٣ـ اللَّه تواب رحيم.





الأسئلة

س١ : ما إعراب ﴿إِذَا﴾؟ وعلام يدل الإعلام بالنصر والفتح قبل حدوثهما؟.

س٢ : ما الفرق بين النصر والفتح؟ وما موقع ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ من الإعراب؟.

س٣: ما إعراب ﴿أَفۡوَاجًا﴾؟ وما معنى ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾؟ وما دلالة لفظ ﴿تَوَّابَۢا﴾؟

س٤ : وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾.

س٥ : اذكر ما يُستفاد من السورة.

***



سورة المسد

(مكية وهي: خمس آيات)

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾

جزاء أبي لهب وامرأته

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ التَّبَاب: الهلاك، والمعنى: هلكت يداه؛ لأنَّه فيما يُروى أخذ حجرًا ليرمي به رسول اللَّه ﷺ ﴿وَتَبَّ﴾ وهلك كله، أو جُعلت يداه هالكتين، والمراد: هلاك جملته؛ كقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[1]، ومعنى ﴿وَتَبَّ﴾: وكان ذلك وحصل.

رُوي أنَّه لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2]، رقى النبي ﷺ الصفا، وقال: يا صباحاه؛ فاستجمع إليه الناس من كل أَوْب، فقال ﷺ: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، إِنْ أخبرتكم أَنَّ بِسَفح هذا الجبل خيلًا أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، قال: «فإِنِّي نذير لكم بين يدي الساعة»؛ فقال أبو لهب: تبًّا لك، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت[3]، وإنَّما كنَّاه، والتكنية تكرمة؛ لاشتهاره بها دون الاسم، أو لكراهة اسمه، فاسمه عبد العزى، أو لأنَّ مآله إلى نار ذات لهب، فوافقت حاله كنيته. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ﴿مَا﴾ للنفي ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ مرفوع، و ﴿مَا﴾ الثانية موصولة أو مصدرية، أي: ومكسوبه أو كَسْبه.

---

(١) سورة الحج . الآية: ١٠.
(٢) سورة الشعراء . الآية: ٢١٤.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.



﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾

أي: لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه، والذي كسبه بنفسه. ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ﴾ سيدخل ﴿نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ تُوقد ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾ هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ كانت تحمل حزمة من الشوك والحَسَكُ[1] فتنثرها بالليل في طريق رسول اللّٰه ﷺ، وقيل: كانت تمشي بالنميمة، فتشعل نار العداوة بين الناس. ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ حال، أو خبر آخر، والمسد: الذي فُتل من الحبال فتلًا شديدًا من ليف كان أو جلد أوغيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ مجاز مرسل، أطلق الجزء وأراد الكل.

ـ في قوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ استعارة، اسْتُعير هذا التعبير للنميمة بين الناس.

ـ قوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ منصوب على الذم، أي: أخص بالذم حمالة الحطب.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ بيان عذاب أبي لهب وزوجته أم جميل، ومآلهما في الدارين؛ لشدة عداوتهما لرسول اللّٰه ﷺ.

(١) الحسك: جمع حسكة وهى شوكة صلبة معروفة. النهاية ١/ ١٨٦.



٢ ـ معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزلت السورة وأخبرت عن أبي لهب وزوجه بالشقاء وعدم الإيمان، لم يُقيض لهما أن يُؤمنا، لا ظاهرا ولا باطنا، ولا سرا ولا علنا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة.

***

الأسئلة

س١: ما التَّبَاب؟ وما سبب نزول السورة؟ ولِمَ ذُكر أبو لهب بكنيته؟.

س٢: ما نوع ﴿ مَآ ﴾ الأولى والثانية في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾؟.

س٣: ما المراد بالآية السابقة؟ ومَنْ امرأته؟ ولِمَ وصفت بأنَّها ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾؟.

س٤: ما موقع ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ من الإعراب؟ وما معناه؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾.

س٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

***



سورة الإخلاص

(أربع آيات مكية عند الجمهور، وقيل: مدنية عند أهل البصرة)

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

توحيد الله وتنزيهه

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن و ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن، كقولك: هو زيد منطلق، كأنَّه قيل: الشأن هذا، وهو أنَّ اللَّه واحد لا ثاني له، ومحل ﴿هُوَ﴾ الرفع على الابتداء، والجملة هي الخبر.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ هو السيد المقصود في الحوائج على الدوام من صُمِدَ إليه إذا قصد ولجئ إليه.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنَّه لا يُجانَسِ، حتى تكون له من جنسه صاحبة، فيتوالدا، وقد دل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[1]، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنَّ كل مولودٍ محدث وجسم، وهو قديم لا أول لوجوده. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ولم يكافئه أحد، أي: لم يماثله.

من الأسرار البلاغية:

- ذكر الاسم الجليل بضمير الشأن ﴿هُوَ﴾؛ للتعظيم والإجلال.

- في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أسلوب قصر وحصر طريقه تعريف الطرفين.

(١) سورة الأنعام. الآية: ١٠١.



بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ اللَّه غني بذاته كريم رحيم، تحتاج إليه جميع الخلائق في قضاء الحوائج، متصف بجميع صفات الكمال، ونعوت الجلال.

٢ ـ اللَّه أحد فرد، ليس له شيء من جنسه، ولم يلد أحدًا، وليس له لاحق يُماثله.

٣ ـ اللَّه قديم أولي أزلي غير مسبوق بالعدم، فلا والد له، ولا سابق له.

٤ ـ اللَّه لا شبيه له في الوجود ولا نظير ولا صاحبة ولا مثيل.





الأسئلة

س١: ما معنى ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؟ ولماذا وُصف اللَّه بقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾؟ وما معنى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾؟.

س٢: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) ذِكْر الاسم الجليل بضمير الشأن ﴿هُوَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

س٣: اذكر ما يُستفاد من السورة.

❊ ❊ ❊

سورة الفلق

(مختلف فيها وهي: خمس آيات)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

الاستعاذة من شرّ المخلوقات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ أي: الصبح، أو الخلق.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: النار والشيطان، و﴿مَا﴾ موصولة، والعائد محذوف، أو مصدرية، ويكون الخلق بمعنى المخلوق. ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق: الليل إذا اشتد ظلامه، ووقوبه: دخول ظلامه في كل شيء.

وعن عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول اللَّه ﷺ بيدي، فأشار إلى القمر، فقال: «تعوَّذي باللَّه من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب»[1].

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ النفاثات: النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يَعْقِدن عُقَدًا في خيوطٍ ويَنْفُثن عليها ويرقين. والنَّفْث: النفخ مع ريق، وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في إنكار تحقق السحر وظهور أثره.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أي: إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر فى ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضار لغيره لاغتمامه بسرور غيره .

(١) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ تكررت كلمة ﴿شَرِّ﴾ أربع مرات في السورة؛ للتنبيه على قبح وشناعة هذه الأوصاف.

ـ في قوله تعالى: ﴿شَرِّ غَاسِقٍ﴾، ﴿شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾، ﴿شَرِّ حَاسِدٍ﴾ ذكر الخاص بعد العام وهو قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ تعليم الناس كيفية الاستعاذة من كل شرّ في الدنيا والآخرة.

٢ ـ الاستعاذة من الغاسق والنفاثات والحاسد إشعار بأنَّ شر هؤلاء أشد.

* * *



الأسئلة

س١ : ما الفلق؟ وما نوع ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؟.

س٢ : ما الغاسق؟ وما وقوبه؟ ومَنْ النفاثات؟ ولم سُمِّين بذلك؟ وما معنى ﴿إِذَا حَسَدَ﴾؟.

س٣: وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾.

س٤ : اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊



سورة الناس
(مختلف فيها وهي: ست آيات)

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾

الاستعاذة من شرّ الشيطان:

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مربِّيهم ومصلحهم ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ مالكهم ومدبر أمورهم.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ معبودهم، ولم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة؛ لأنَّ قوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ عطف بيان لرب الناس؛ لأنَّه يقال لغيره رب الناس وملك الناس، وأمَّا إله الناس، فخاص به لا شركة فيه، وعطف البيان؛ للبيان؛ فكأنَّه مظنة للإظهار دون الإضمار، وإنَّما أُضيف الرب إلى الناس خاصة، وإن كان رب كل مخلوق؛ تشريفًا لهم، ولأنَّ الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فكأنَّه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم. ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأمَّا المصدر فوِسواس ـ بالكسر ـ كالزلزال، والمراد به: الشيطان؛ سُمِّي بالمصدر؛ كأنَّه وسوسة في نفسه؛ لأنَّها شغله الذي هو عاكف عليه، أو أُريد ذو الوسواس، والوسوسة: الصوت الخفي. ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يَخْنِس، منسوب إلى الخَنُوس وهو التأخر، فإذا ذكر الإنسان ربَّه ولي الشيطان وخنس.



﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ في محل الجر على الصفة، أو الرفع، أو النصب على الشتم، وعلى هذين الوجهين، أي: (الرفع والنصب)؛ يحسن الوقف على الخناس. ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس على أنَّ الشيطان ضربان جِنيّ وإنسيّ؛ كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾[1].

رُوي أنَّه ﷺ سُحر فمرض، فجاءه ملكان وهو نائم، فقال أحدهما لصاحبه: ما باله؟ فقال: طُبّ، مرض: كما يقال للدّيغ: سليم، قال: ومَنْ طَبّه؟ قال: لبيد ابن أَعْصَم اليهودي، قال: وَبِم طبه؟ قال: بمُشْط ومُشَاطة ـ المُشاطة: الشعر الذي يسقط من الرأس عند تسريحة[2] ـ في جُفِّ طَلْعَةٍ[3] تحت رَاعوفة[4] في بئر ذِي أَرْوَان، فانتبه ﷺ فبعث زبيرًا وعليًّا وعمارًا رضي الله عنهم، فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجُف، فإذا فيه مُشاطة رأسه، وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر مُعْقَد فيه إحدى عشرة عُقْدة مغروزة بالإبر، فنزلت هاتان السورتان، فكلما قرأ جبريل آية انحلّت عقدة، حتى قام ﷺ عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نَشط مِنْ عِقْال، وجعل جبريل يقول بسم اللَّه أرقيك، واللَّه يشفيك من كل داء يؤذيك»[5]، ولهذا جوّزوا الاسترقاء بما كان من كتاب اللَّه وكلام رسول اللَّه ﷺ، لا بما كان بالسُّريانية والعَبْرانية والهندية؛ فإنه لا يَحلّ اعتقاده والاعتماد عليه.

(١) سورة الأنعام. الآية: ١١٢.
(٢) شرح النووي ٣ صحيح مسلم ١٤/ ١٧٧.
(٣) الجف: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، شرح النووي: ١٤/ ١٧٧.
(٤) حجر يوضع في أسفل البئر ليجلس عليها من ينظف البئر، فتح البادي ١/ ١٢٣ ـ ١/ ٢٣٤.
(٥) أخرجه البخاري ومسلم.



ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا، ومن شر ما عملنا وما لم نعمل، ونشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ونبيه وصفيه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى اللَّه عليه وعلى آله مصابيح الأنام وأصحابه مفاتيح دار السلام صلاة دائمة ما دامت الليالي والأيام.

من الأسرار البلاغية:

ـ الإضافة في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾؛ للتشريف والتكريم والاستعانة، فقد أضيف الرّب إلى الناس؛ لأنَّ الاستعاذة من شرّ الموسوس في صدورهم.

ـ تكرار لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ زيادة في التكريم والعَوْن، ومزيد البيان، والإشعار بشرف الإنسان.

ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ طباق.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ الاستعاذة بصفات اللَّه الثلاث: الربوبية، والملك، والأُلوهية، تحمي المستعيذ من شرور الشيطان وأضراره في الدين والدنيا والآخرة.

٢ ـ المُوسوِس إمَّا شيطان الجنِّ، وإمَّا شيطان الإنس، فتعوّذ باللَّه من شياطين الإنس والجن.

٣ ـ أن الشيطان يشتد هروبه عند ذكر العبد لربه عز وجل، فإذا غفل العبد عاوده بالوسوسة.



الأسئلة

س١ : بيِّن معاني ما يأتي: (بِرَبِّ ٱلنَّاسِ - مَلِكِ ٱلنَّاسِ - إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ).

س٢ : لماذا لم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة؟ وما المراد بالوسواس؟ ولم سُمِّي بالمصدر؟.

س٣: ما الوسوسة؟ ولم سُمِّي الشيطان خنَّاسًا؟.

س٤ : ما موقع قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ من الإعراب؟ وما الغرض من قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾؟.

س٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.

(ب) تكرار لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾.

س٦ : اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

❊ ❊ ❊

قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات